الأديـــان الســـماويـة

تأليـــف

ناصر الحسين با نافع

توزيع مؤسسة الجريسي الرياض ت: ٤٠٢٢٥٦٤
جدة ٦٨٢٦١٠٥ الدمام ٨٢٧١٨١١ القصيم ٣٦٤٤٣٦٦

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ

صدر الإذن بطبع هذا الكتاب من
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام
برقم ٣٣٤٥ /م وتاريخ ٢٣ /٥ /١٤١١هـ

وبموجب إجازة الرئاسة العامة
لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
برقم ١٢٥٢/م وتاريخ ١٤١١/١/٢٨هـ

الأديان السماوية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة الكتـاب

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين على أمور الدنيا والدين والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلين إلىٰ جنات النعيم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعـد :

فإنني لست ميالاً إلى الكتابة ولا إلى التأليف ولست علىٰ قدرٍ عالٍ من الثقافة حتىٰ يسهل عليَّ ذلك إذا ما عزمت على الإقدام عليه. ولٰكن طالما شغلني موضوع هذا الكتاب سنيناً عديدة... لا أبالغ إن قلت إنها تزيد عن العشرين عاماً .

كنت خلالها اسأل نفسي ثم أجيبها .

هل عند الله سبحانه وتعالى أديان غير الإسلام ؟

هل عنده دين باسم اليهودية.. ودين باسم النصرانية أنزلهما من السماء إلىٰ جانب دينه الإسلام ؟

ثم أتذكر حديث من لم ينطق عن الهوى ﷺ « يولد المرء مسلماً فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » أو كما قال ﷺ فأدرك أن ذلك حق وإنه بموجب العهد القديم الذي أخذه الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ذرية آدم في النشأة الأولى أو الخلق الأول يكون المرء مسلماً .

فيتبادر إلىٰ ذهني قول الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[1] .

ثم أعرف أن معنىٰ الآية مؤيداً لمعنىٰ الحديث والعكس بالعكس.. فكلاهما من عند الله. هذا كتاب وهذه حكمة. فلا تعارض ولا تناقض بينهما.. فهما من مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى إلىٰ رسوله ﷺ الذي ءاتاه الكتاب والحكمة .

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٧٢ – ١٧٣) .

ثم أسأل نفسي أيضاً :

كيف نردد نحن المسلمون كلمة « أديان سماوية » ونقصد بها اليهودية والنصرانية والإسلام وكأنها متساوية عند الله ولا فرق بينها ؟

وذلك بعد أن ثبت لنا أن كل إنسان يولد مسلماً قبل وعيه وقبل اختياره لأي دين بعد ولادته. يولد مسلماً فطرياً .

ثم نعلم علم اليقين بأن الله جل جلاله لم يشر في كتابه الكريم إلىٰ تكريم الديانتين اليهودية والنصرانية ولو بآية واحدة في القرآن الكريم بأنهما كانا حقاً في فترة ما قبل محمد ﷺ.. بل بالعكس يمقتهما أشد مقت.. ثم هل الحق سبحانه وتعالى أخذ العهد من ذرية بني آدم في عالم الذرأو « النشأة الأولى » بأن يكونوا على ثلاثة أديان.. أم علىٰ دين واحد ؟

وما هو ذلك الدين الواحد الذي عاهدهم عليه؟ فإن كان واحداً فهو الإسلام بلا ريب. وهو الذي ولد كل إنسان عليه فطرياً. وإن كانت الثلاثة الأديان معاً فالعقل لا يقبل ذلك لأنه مخالف للفطرة السليمة وللمنطق. فما ولد عليه الإنسان فله الأولوية وهو الحق .

والغريب في الأمر إن الكثير من المسلمين يعترف بالديانتين اليهودية والنصرانية علىٰ أنهما سماويتان حقاً أنزلهما الله من السماء قبل الإسلام. مع إننا نعلم علم اليقين أيضاً بأن دين الإسلام دانت به أنبياء وأمم قبل موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.. مثل نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام وذلك بنص القرآن الكريم قبل وجود القوميتين اليهودية والنصرانية .

ثم أتساءل أيضاً :

هل كان الله سبحانه وتعالىٰ قد ارتضى بهما لطائفة أو طوائف من خلقه كما ارتضىٰ لنا الإسلام ديناً ليكونا شقيقين لدينه الحق فيما بعد ؟

فإن كانا كذلك فلمَ يمقتهما في القرآن الكريم، ببراءة خليله إبراهيم ﷺ وأبنائه منهما عندما قالت اليهود إن إبراهيم يهودي وقالت النصارى إن إبراهيم نصراني.. فنفى الله ذلك بقوله عز وجل :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]

---

(١) سورة آل عمران: آية (٦٧) .

والغريب أيضاً في ذلك إنهما حدثا من بعد إبراهيم ﷺ الذي يدين بدين الإسلام.. ثم كيف يكــونا حقاً والله يغضب علىٰ من ينسب إليهما خليله إبراهيم ﷺ ؟..

هذه تساؤلات شغلتني فترة ليست بالقصيرة حتى إنني أطرح تلك الأسئلة من حين إلىٰ حين علىٰ من أعتقد أن عندهم بعض المعرفة بعلم الدين.. فمنهم من يقول: كلامك حق ولٰكن الناس كلهم ينسبون ثلاثة أديان إلى السماء فلا يحق لك أن تعارض الأمة فيما اجتمعت عليه. ومنهم من يقول إن اليهودية دين موسىٰ والنصرانية دين عيسىٰ عليهما السلام. وذلك ما لم يستسغه مسمعي.. ولا تطمئن به نفسي أبداً لسبب واحد هو :

إنه لو كان موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام علىٰ دين اليهودية والنصرانية لـمَ نزه الله سبحانه وتعالىٰ خليله إبراهيم ﷺ عنهما ونفىٰ بقوة انتسابه إليهما بل لأشار إليهما ولو بكلمة رضاً واحدة عنهما في كتابه الكريم على الأقل تكريماً لموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام. ولكنه لم يحدث شيء من ذلك.. فلم أقتنع بقوله.. ثم أعود فأسأله ؟

أليس موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام علىٰ ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط صلوات الله وسلامه عليهم؟.. فمنهم من يصد عني وكأنني أحرجته بأسئلتي فلن يرد عليَّ.. ومنهم من يقول الله أعلم ولٰكن علينا أن نتبع الجميع فيما يقولون.. وسرعان ما يتبادر إلىٰ ذهني معنىٰ قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ ﴾[1].

وهل يكون من المسلمين من يقول مثل ذلك والعياذ بالله؟ ثم هل نستحي من رجوعنا عن الباطل إلى الحق خشية من كلمة لوم تقال عنا من عدوٍ؟ مثل: « لماذا لم تقولوا ذلك قبل الآن »؟ ومن الذي أطرح عليهم الأسئلة من يقول: إنها أديان سماوية وكفىٰ.. هذه الإجابات كلها لم أقتنع بواحدة منها.. وكم تمنيت أن تكون لدي الثقافة الكافية حتى استطيع أن أعبر عمّا يضيق به صدري وأقول: اتقوا الله أيها المسلمون.. إننا لمخطئون بتثليث دين الله. وبقيت في حيرة نفسية بيني وبين

---

(١) سورة البقرة: آية (١٧٠).

نفسي لا يعلم بها أحد إلَّا الله سبحانه وتعالىٰ.. كل ذلك والله يعلم بالسرائر هي غيرة من مسلم على الإخلاص لله سبحانه وتعالىٰ في الدين.. فهو جل شأنه وحده الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. ثم يعلم بأنه لم يكن ذلك مني بقصد المعاجزة أو المماراة في آيات الله أو محاولة مني لتوجيه الاتهام إلى أحد من المسلمين بعدم الاهتمام نحو دين الله الحنيف ..

فإن كنت قاصداً ذلك فلا شك إنني آثم فاستغفر الله لذنبي. كما أعوذ به جل شأنه أن تكون لي صفة من فعل فعلاً « ليقال عنه وقد قيل » .

وبعد... فإنني كلما أسمع من إنسان مسلم عبارة « الأديان السماوية » أشعر بضيق في صدري.. ثم أقول في نفسي كيف أقدر علىٰ إقناعه ونصحه حتىٰ يقلع عن هذه العبارة، وكلمّا قرأت في صحيفة أو مجلة عبارة « الأديان السماوية » يحدث عندي نفس الشيء، ثم أقول في نفسي أيضاً: لماذا لم ينتبه العالم الإسلامي إلىٰ تلك العبارة و لم يعرها أيّ انتباه؟ هل ثقل عليهم الجهر بها؟.. أم هي مجاملة منهم لأهل الكتاب؟ الذين لم يتركوا كلمة إساءة إلا وقذفوا بها الإسلام

ورسول الإسلام محمد ﷺ دون مراعاة لشعور أحد من المسلمين؟.. أم غابت عن الأذهان؟... فسبحان من لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكم مرّت عليَّ فترات من الوقت أتمنىٰ فيها أن أسمع أو أقرأ ولو كلمة واحدة في صحيفة أو مجلة إسلامية أو إذاعة تقول إنه لا دين عند الله غير الإسلام ينسب إلى السماء. فلم أسمع ولم أقرأ عن ذلك شيئاً إلَّا في القرآن الكريم. وفي الأخير عزمت وتوكلت على الله واستعنت به لأفرغ ما في صدري والباقي كما يقول المثل علىٰ الله.

فإن كنت محقاً فالحمد لله الذي أعانني على التعبير. وإن كنت غير ذلك فالحمد لله الذي أراحني مما ضاق به صدري أعواماً كثيرة حتىٰ عبرت عنه وبعده يكون الحق معلقاً بذمة العارفين من المسلمين ليقولوا ما يرونه بشأن ذلك... ويكفيني التمسك بأضعف الإيمان بالله، بأن أبقىٰ معتقداً بأن كلمة «الأديان السماوية» كلمة باطل فلم أومن بها إلى أن ألقى الله جل شأنه والحساب عليه. فهو الرقيب والحسيب وله الأمر من قبل ومن بعد. ولكن في البداية لا يفوتنا الأخذ بقول الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1]

وقوله تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[2] .

ثم لا تفوتنا الملاحظة بدقة وتفكير في معنى قوله سبحانه وتعالى ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ وهنا نقف ونسأل أنفسنا.. هل بقي من أهل الكتاب من لم يظلم ليترك أبناء المسلمين وشأنهم في دينهم الذي رضي الله به لهم وأمرهم باتباعه؟ والجواب كلاّ:... إنه لم يبق منهم من لم يظلم إلا القليل والقليل جداً إن وجد منهم.. ومع ذلك فإنه لا ينبغي لنا إلّا أن نقول الحق إن شاء الله ولا غير الحق.. إذ إنه لا يجوز للمسلم أن يجادل بالباطل ليدحض به الحق. ولكن ليجادل بالحق ليزهق به الباطل .

---

(١) سورة العنكبوت: آية (٤٦) .

(٢) سورة النحل: آية (١٢٥) .

أمّا بعـــد :

فإنني لأرجو الله العلي القدير أن يوفقنا إلىٰ ما يرضيه عنّا من الأقوال والأفعال والعقائد. وأن ينير قلوبنا بنور الإسلام. وأن يثبتنا على القول الثابت إنه سميع مجيب. ثم أرجوه جل شأنه أن يحقق لنا ما نقصده من وراء هذا الكتاب وموضوعه « الأديان السماوية ». وما تعنيه تلك العبارة بالنسبة لدين الله السماوي الأوحد وهو الإسلام. كما يحتوي هذا الكتاب علىٰ شرح عن سبب ترك الدين الإســلام من بعد موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام. ثم جعله ديانتين من جانب اليهود والنصارىٰ ثم انتسابهما إلى السماء .

كذلك شرح عن سبب تسمية الديانية النصرانية إلىٰ ديانة مسيحية. وما هو الهدف من ذلك لأعداء الله ودينه ورسوله ﷺ .

ثم بيان عن معنى الإسلام ومعنى الإيمان إلىٰ من يقولون إن الله لم يصف أهل الكتاب بالشرك وإنما وصف الوثنيين بالشرك بسبب عبادتهم للأصنام والأوثان ثم وصف بعض أهل الكتاب بالإيمان .

فأرجو من القاريء الكريم أن يتفهّم جيداً إلىٰ ما نقصده من وراء ذلك ونسعىٰ إلىٰ تحقيقه.. وأن لا يحكم علىٰ أي موضوع من تلك المواضيع قبل إكمال قراءته له.. حتىٰ يكون علىٰ علم به وبالهدف من ورائه إذا ما تولّد لديه نوع من الانتقاد. فليكن انتقاده عن علم وقناعة.. فالقصد من ذلك هو: أولاً وقبل كل شيء إفراد الأنتساب لدين الله الإسلام إلى السماء ووحدانيته. وليس القصد منه بيان معنى الدين أو معنىٰ شرائعه أو مناهجه أو ما يختص به نبي عن نبي أو أمة عن أمة من الشرائع والمناهج.. ولا شك إن الإنسان المسلم الواعي المتدبر لآيات الله سبحانه وتعالىٰ سيدرك الواضح الجلي من الملتبس الخفي، حتىٰ يميز بين الحق والباطل من الأقوال والأفعال والعقائد .

فمعنى الدين معلوم لكل مسلم بأنه توحيد الله سبحانه وتعالىٰ والانقياد له بالطاعة والاجتناب عمّا نهىٰ عنه والاتباع لما أمر باتباعه .

ذلك هو معنى الدين الإسـلام.. وبين المعنىٰ والاسم فارق لا يخفىٰ علىٰ القاريء الكريم.. فموضوعنا هنا يدور حول التسمية لذلك الدين القيّم وليس حول المعنىٰ. وقصدنا

هو: أن نحذر نحن المسلمون من أي كلمة نتلفّظ بها نحو دين الله قبل أن نتفهّم لمعناها وتأثير لفظها على الدين الحق، فكل عمل للإنسان يكون من ثلاثة أوجهٍ.. أقوال ـ وأفعال ـ واعتقاد.. فالقول باللسان عمل.. والفعل من الأعضاء عمل.. وما يدور في النفس أو القلب عمل.. بين العبد وربه.. هذا والله نسأل أن يثبتنا علىٰ دينه الإسلام الصافي من كل شائبة وعلى العقيدة الإيمانية.. ثم ندعوه جل شأنه كما علمنا ندعوه بقوله تعالىٰ:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

هذا والله من وراء القصد وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

* * *

---

(١) سورة آل عمران: آية (٨).

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد... فإن من أهل الكتاب من لا يهدأ له بال ولا يلذ له عيش ولا تقر له عين إلا بإزالة اسم الدين الإسلام عن الوجود إن استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً... فهم يبذلون كل جهدهم لهدم ذلك الدين القيّم ولم يقفوا عند حدٍ منه.. وذلك هو الظلم الذي تنص عليه الآية ٤٦ العنكبوت في قوله تعالى: ﴿ **إلَّا الذين ظلموا منهم** ﴾ فما يصدر منهم نحو الإسلام والمسلمين هو الظلم الذي بعده يباح لنا أن نجادلهم بغير التي هي أحسن. ومعنىٰ غير التي هي أحسن أن لا نجادل بكذب ولا ببهتان ولا زور، ولٰكن بالصدق مع نوع من الشدّة والحزم وعدم اللّين، لا من أجل أشياء شخصية للإنسان المجادل أو كراهة لجنس من البشر أو من الأمم، ولكن لتكون المجادلة لوجه الله وإعلاء كلمته ودينه، فالكل خلق الله وهو ربهم، ولا فضل لأحد علىٰ أحد إلا بتقوى الله جلّ جلاله .

فياهل ترىٰ أيستطيعون أن يطفئوا نور الله بأفواههم؟ كلاَّ:

فالله يأبىٰ إلَّا أن يتم نوره ولو كرهوا. ولكن من الواجب علينا أن نقول لهم ولغيرهم نصيحة حتى لا يجهدوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به فنقول: إن الدين الذي يتمنون اختفاءه عن الوجود قد تعهد بإبقائه مَن أنزله من السماء، وإنهم لا يحاربون الإسلام ولا المسلمين ولٰكنهم يحاربون رب العالمين، فإن لم يكن ذٰلك في حساباتهم فليراجعوها، ذلك إن كانوا يعترفون بوجود رب قادر كما يقولون، فليقارنوا بين القوتين: قوة خالق وقوة مخلوق، وبين مَن هو الغالب ومَن هو المغلوب، لعلهم على الأقل يرحموا أنفسهم ويكفوا عن حرب هم فيها بلاشك الخاسرون مهما صور لهم إبليس النصر فكيده ضعيف، تلك هي نصيحة لهم، فليعتبروها من إنسان لإنسان وليس من مسلم لمشرك أو من مؤمن لكافر ولٰكن من إنسان لإنسان .

ثم نقول لهم إن الدين الذي يتمنون إزالته عن الوجود هو الدين الأوحد عند الله المنسوب إلى السماء وإن أيّ دين غيره ينسب إلى السماء هو باطل ومختلق اسماً ومعنًى، فدين الإسلام هو دين نوح وهود وصالح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسّلام، وهو دين جميع الكتب

السماوية بما فيها التوراة والإنجيل. وهو دين جميع الرسل والرسالات السماوية. ثم نقول لهم إنّ كلمة « أديان سماوية » بصيغة الجمع هي كلمة باطل واختلاق وافتراء منهم على الله وعلىٰ دينه الحق، وإنه لا دين أنزل من السماء حقاً إلّا دين واحد هو الإسلام، وإنّ علماء أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ يعلمون بذلك علم اليقين أكثر من بعض المسلمين أنفسهم والله علىٰ ذلك شهيد .

ولٰكن العامة من شعوبهم لا يعلمون ذلك بسبب اعتمادهم علىٰ علمائهم وثقتهم العمياء فيهم دون البحث عن الحقيقة حتىٰ يتبينوا الحق من الباطل، فلو أن علماءهم أظهروا لهم ما هو خافياً عليهم ثم أعلموهم بدين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السّلام الذي أرسِلا به من الله وإنه الإسلام، لتخلت عنهم شعوبهم ثم لهالوا عليهم من السب والشتم ما لا طاقة لهم به جزاءًا لهم بما أخفوا عنهم من الحق إذا ما عرفوا أنهم يقودونهم إلى النار وبئس القرار، فأدلتنا علىٰ ما نقوله ظاهرة وقوية وكتاب الله في متناول يد كل إنسان، لا أقول كل مسلم بل كل إنسان من البشر وكما أنزل من السماء، فلم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف، ولم يحتكره أحد من علماء

الإسلام كما احتكر علماءُ اليهود والنصارى التوراة والإنجيل بعد نزولهما من السماء ليبدوا ما يريدون إبداءه، ويخفوا ما يريدون إخفاءه .

أما بعــد :

فإنّ القصد من هذا الكتاب هو تحذير الإخوة المسلمين عمّا تنطوي عليه كلمة «الأديان السماوية» من معان إذا ما لفظت بصيغة الجمع مع انتسابها إلى السماء، فهذه العبارة كثيراً ما تتردّد علىٰ ألسنة الكثير من الناس سواء المسلمين منهم وغير المسلمين ويظن الكثير من الناس إن ذلك حق لا مجال فيه للنقاش لا من بعيد ولا من قريب.. ولٰكن الحقيقة غير ذلك تماماً إذا ما ميزنا بين الألفاظ الصائبة منها والخاطئة ثم تدبرنا آيات الله المحكمة من كتابه الكريم وأخذنا بما فيها، فالله سبحانه وتعالىٰ ليس عنده أديان متعددة حتىٰ ننسبها جميعاً إلى السماء، وإنّما عنده دين واحد لا غيره هو الإسلام. كما جاء في قوله سبحانه وتعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾(١) .

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٩ .

أي إن الدين الإسلام كان ولم يزل عند الله سبحانه وتعالىٰ بهذا الاسم قبل الاختلاف بين من أنزلت عليهم الكتب السماوية وقبل نزول الكتب السماوية بل وقبل خلق الإنسان يوم خلق الله السماوات والأرض. ثم أخذ ذريّة بني آدم من ظهورهم وأخذ العهد عليهم علىٰ دين الإسلام ثم أشهدهم علىٰ أنفسهم. قال تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(١) .

ولنا وقفة تدبّر عند قوله تعالىٰ: ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ من الآية، فالزمان كله هو الدين القيم كما أشار سبحانه وتعالىٰ. فأشهر السنة الأثنا عشر هي الدين كله، وذلك لأن العبادات جميعها تدور فيها، كالصلاة في مواقيتها من الليل والنهار، والزكاة بدورة الاثنى عشر شهراً، كذٰلك صوم رمضان والحج إضافة إلىٰ ذكر الله في كل لحظة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، ثم إنّ أوقات الصلاة لا تنتهي في الأرض أبداً

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٦ .

فمثلاً: لا يكون وقت صلاة فجر في بلد إلا وتكون أوقات ظهر وعصر ومغرب وعشاء في بلاد غيرها، وهٰكذا مدى الدهر كلّه، ثم يلحق بذٰلك قوله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(١) .

وهذا بالطبع هو وضع الله له دون اختيار فيه لأحد من الناس ليضع أوقاتاً لعدد السنين والحساب، وبطبيعة الحال فكل الأعمال الدينية منحصرة في الأشهر القمرية، مع وجوب الحذر من الأشهر الشمسية التي اتخذها الناس جميعاً تقريباً لعلم عدد السنين والحساب تاركين بها الأشهر القمرية التقويم الإلٰهي السماوي الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لذٰلك، ظانين بالله وآياته وحكمته ظن السوء، عليهم دائرة السوء فمنهم من يزعم إنّ السنة الهجرية «القمرية» غير مضبوطة في أشهرها كالشمسية، وكأنّ الله جلّت قدرته غير قادر على أن يجعل الأشهر القمرية موافقة للأشهر الشمسية في أيامها، متخذين بسطحيات الأمور دون علم بحكمة الله سبحانه وتعالى في ذٰلك، فلو أن الناس أخذوا بها ديناً لنقص حجهم

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٩ .

حجة من كل ثلاث وثلاثين حجة ونقصت زكاتهم ز
كل ثلاث وثلاثين زكاة مثلاً، وذلك أقل ما فيها من مخالفه لدين الله الحنيف: فهي كالنسيء زيادة في الكفر.. وفي ذلك من حِكَم الله جل شأنه الكثير، منها على سبيل المثال: امتحان لمن يتمسك برأس الدين القيّم الذي فرضه الله يوم خلق السماوات والأرض ممن يتخلّىٰ عنه.. ذٰلك هو التقويم الإلٰهي الهجري القمري، فالعلاقة بين الأشهر القمرية السماوية وبين الأشهر الوضعية أو الميلادية كما هو معروف عند البعض كالعلاقة بين الدين الإلٰهي الإسلام والأديان الوضعية سواءً بسواءٍ، فالأشهر الشمسية لم يعتمدها أي نبي ولا تابع لنهجه لا لعدد السنين ولا للحساب ولا لمواقيت الحج، والأدّلة علىٰ ذلك ظاهرة وموجودة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة، ولنا حديث في ذلك الشأن قد يطول شرحه فلا يتسع له المجال هنا إلا فيما بعد إن شاء الله تعالى .

انتهى

فنعود إلى ما نحن بصدده: فالدين الذي كان عند الله ولم يزل هو الإسلام، وهنا لنا وقفة تفكّر وتدبّر حول معنى

الآية ١٩ آل عمران، وما تعنيه كلمة ﴿عند الله﴾ منها، فالتدبّر والتفكّر مطلوبان منا في آيات الله سبحانه وتعالىٰ بقدر المستطاع، فإذا لم يكن ذلك مفروضاً علينا فهو حق وواجب علينا .

فالعندية بالنسبة لله جل شأنه ليست كالعندية بالنسبة لغيره سبحانه وتعالىٰ.. لأن كلّما عداه لا ثبوت له علىٰ حالٍ لأنه ذو أغيار، فإن قال غير الله أن عنده كذا وكذا فإنه لابد وأن يطرأ عليه ما يغيّره من حال إلىٰ حال فيرىٰ ما هو أحسن مما عنده ثم يحلّه مكان ما عنده سابقاً، لأنه ليس بحكيم فيما يختار أو ما يصنع .

ولٰكن العندية بالنسبة لله الحكيم العليم جلّ جلاله أزلية لا تبتدي أبدية لا تنتهي.. فإن قال جل شأنه إن عنده كذا وكذا فهو غير قابل لا للتحويل ولا للتبديل أبداً، وذلك مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(١) .

وقولـــه :

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٢).

---

(١) سورة ق: آية ٢٩ .

(٢) سورة فاطر: آية ٤٣ .

وعلىٰ كل حال فإن كانت معاني هاتين الآيتين خاصة بموضوعنا أو بمواضيع أخرى أنزلتا بسببها إلَّا إن الخاص في القرآن عام لكل معنىً قد يوافقه .

وهذه المعاني في الآيتين السابقتين تعبّر عمّا هو عند الله أزلياً وأبدياً.. فما عند الله لا يتغيّر ولا يتحوّل ولا يتبدّل أبداً، فالله سبحانه وتعالىٰ يقول إن الدين عند الله الإسلام وهو اسم ارتضاه لدينه أزلي أبدي. ذلك الاسم لدين الله ليس بمحدث لا لإبراهيم الخليل ﷺ ولا لمن جاء قبله أو بعده من ا لرسل، وإنّما هو عند الله من يوم خلق السماوات والأرض وقال: ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾،

والذي يقرأ القرآن ويتدّبر آياته ويشغل فكره فيما تحتويه من معانٍ محكمةٍ يتبيّن له إنه لن يتلفظ أي نبي بأي اسم لدين الله إلَّا بلفظ الإسلام، ثم نلاحظ في القرآن الكريم بأن الدين لم يذكر فيه بصيغة الجمع أو المثنّىٰ أبداً وإنما بصيغة الإفراد، وأحب أن أشير إلىٰ أن أهل الكتاب يقولون إنّ الله ثالث ثلاثة وإنّ دينه ثالث ثلاثة أيضاً سماوية، ونحن وللأسف الشديد ننكر عليهم بعض ما يقولونه ثم نوافقهم في البعض الآخر، ننكر عليهم بأن الله ثالث ثلاثة ثم نوافقهم بأن الدين ثالث ثلاثة، وذلك في قولنا « الأديان السماوية » .

وبما أن التبعيض في الإسلام إمّا شرك بالله، وإمّا كفر به في مثل تلك الأمور الدينية حسب نوعها، فإنه لا ينبغي لنا ونحن مسلمون إلَّا أن نوافقهم كلية على ثلاثة لثلاثة حتىٰ نرضيهم ونغضب الله والعياذ به، أو أن نخالفهم بواحد لواحد لنرضي الله عنا، أمّا أن نكون مذبذبين بين واحد وثلاثة، فإن الله سبحانه وتعالىٰ لن يرضى بأن يكون المسلم متذبذباً بين الحق وبين الباطل، لأن ذلك ليس من صفات المسلم المؤمن، فأمّا ثلاثة لثلاثة وأما واحد لواحد حتىٰ لا ينطبق علينا معنىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾(١).

فمثل ذلك التبعيض لا يصدر إلَّا من منافق والعياذ بالله مجامل لغيره بما هو لله وحده، ونحن هنا كما سبق وشرحنا... لا نقصد من وراء ذلك توضيح المعنىٰ للدين ولا المنهج ولا التشريع الذي قد يختص به نبي عن نبي أو أمة عن أخرى، ولكن قصدنا هو: البحث عن سبب تغيير أو تبديل اسم الدين

---

(١) سورة النساء: آية ١٥٠ .

الحق من بعد ما جاء به موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام باسم الإسلام، وكيف تبدّل اسمه من جانب اليهود والنصارىٰ إلىٰ ديانة يهودية وأخرى نصرانية .

وهل جاء موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام بدين اليهودية والنصرانية اسماً أم بدين واحد له اسم واحد من عند إلٰه واحد وهو الإسلام؟.. ذٰلك ما سنحاول معرفته وسنعرفه بعون الله تعالىٰ.. فقولنا: «الأديان السماوية» قول باطل.. فلا يجوز لنا التلفظ به. أمّا أن نقول كتب سماوية ورسالات سماوية ومناهج وشرائع سماوية فذلك هو الصحيح.. فالكتب متعددة والرسل متعددون.. وكذلك الشرائع والمناهج.. ولٰكن الدين لم يتعدد إطلاقاً.. وإنّما جعل الله لكل أمة شرعة ومنهاجاً من أصل دين واحد تحت اسم واحد هو الإسلام، قال تعالىٰ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(١) .

فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿ **شرع لكم من الدين** ﴾ ولم يقل

---

(١) سورة الشورى: آية ١٣ .

من الأديان.. فلو أنه كان عند الله جل شأنه أديان متعددة غير الإسلام كما يعتقد البعض لقال شرع لكم من الأديان. أي من اليهودية كذا ومن النصرانية كذا ومن الإسلام كذا، ولٰكنه قال: شرع لكم من الدين، وأي دين هو؟: إنه الإسلام وحده، فهو دين الفطرة بالعهد والميثاق وقال سبحانه وتعالىٰ:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١).

ولم يقل لكل جعلنا منكم ديناً، ثم نلاحظ بانتباه وتدبّر أن الدين لم يذكر بصيغة الجمع لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الشريفة وإنّما بصيغة الإفراد. فالله سبحانه وتعالىٰ أمر جميع الأنبياء بقوله: ﴿ **أن أقيموا الدين** ﴾، ولم يأمرهم جل شأنه بإقامة الأديان المتعددة، كما إن الدين قد ورد ذكره على لسان كل نبي ورسول بالاسم الذيّ أسماه الله به وهو الإسلام أو بصفة من ينسب إليه فرداً أو جماعة مثل. من يقول: أسلمت لله أو وأنا من المسلمين أو ونحن له مسلمون أو إن كنتم مسلمين... إلخ، فلم يعبّر أي نبي بأي لفظ آخر ليسمي به الدين إلا بلفظ الإسلام، وقد ورد في القرآن الكريم

---

(١) سورة المائدة: آية رقم ٤٨ .

اسم الدين علىٰ لسان نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وموسىٰ وسليمان وعيسىٰ عليهم جميعاً الصلاة والسلام بعبارة الإسلام أو المسلمين .

ومن ذلك يتضح لنا إنه ليس لدى اليهود والنصارىٰ أي برهان ولا حجة تجيز لهم تغيير وتبديل اسم دين الله وتقسيمه إلىٰ ديانتين ثم انتسابهما إلى السماء بهذين الإسمين، كما إنه ليس لدينا نحن المسلمين الحجة بأمرٍ من الله أو من رسوله محمد ﷺ حتىٰ نقول ونردّد كلمة: «الأديان السماوية»، كذٰلك جميع الأنبياء ليس لأحد منهم دين خاص به غير دين الإسلام، فقد قال تعالىٰ على لسان نوح عليه السلام:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ ﴾[1] .

إلى قوله: ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾

وقـــال تعـــالى :

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾[2]، أي إن إبراهيم ﷺ حنيف مسلم على ملّـــة نوح عليه السلام، والملّة هي الطريقة والقدوة

---

(١) سورة يونس: آية (٧٢) .

(٢) سورة الصافات: آية (٨٣) .

بما أمر الله به، وبما أننا نعلم علم اليقين ونعتقد اعتقاداً إيمانياً بأن إبراهيم ﷺ بُعث على ملة نوح عليه السلام فلنا سؤال واحد وهو: مَن أقرب عهداً إلى مَنْ؟.. إبراهيم ﷺ إلىٰ نوح عليه السلام أم موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام إلىٰ إبراهيم ﷺ؟.. ثم كيف بعث إبراهيم ﷺ حنيفاً مسلماً علىٰ ملة نوح عليه السلام وبُعث محمد علىٰ ملة إبراهيم عليهما أفضل الصلاة والسلام ولم يبعث موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام على ملة إبراهيم ﷺ حنيفَين مسلمَين؟.. وهما أقرب إليه عهداً؟ .

فإن كانت الإجابة بأن موسىٰ وعيسىٰ بعثا علىٰ ملة إبراهيم عليهم جميعاً الصلاة والسلام فإن دينهما الإسلام ولا داعي للمغالطة بانتساب أكثر من دين واحد إلى السماء.. هو الإسلام.. وإن كانت الإجابة بأن موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام جيئا بدين اسمه اليهودية ودين اسمه النصرانية ثم لم يدعيا أحداً إلىٰ دين الإسلام.. فليس لهما صلة بإبراهيم ﷺ .

ولٰكن ليؤخذ الموضوع بالعقل والتفكير والتدبر إن جاز ذلك التعبير بسؤال وهو: لماذا اتبع محمد إبراهيم عليهما أفضل الصلاة والسلام ولم يتبعه موسىٰ وعيسىٰ وهما أقرب عهداً إلىٰ

إبراهيم من محمد صلوات الله عليهم أجمعين ؟ .

وهنا يكون الجواب مطلوباً من القاريء نفسه والأمر أوضح من الشمس: ثم قال تعالىٰ أيضاً عن إبراهيم وأبنائه عليهم صلاة الله وسلامه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] .

وقـــال :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[2] .

وعن يعقوب وأبنائه عليهم السلام قال تعالى:
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة: آية (١٣١ - ١٣٢) .
(٢) سورة البقرة: آية (١٢٧ - ١٢٨) .
(٣) سورة البقرة: آية (١٣٣) .

هذا التلفظ جاء إجماعاً بألسنة يعقوب وأبنائه باسم الإسلام ديناً.. وذلك هو من أكبر الأدّلة علىٰ إبطال أي اسم آخر لدين الله غير الإسلام.. وبالتّالي علىٰ إبطال عبارة «الأديان السماوية»، وفي شأن لوط عليه السلام قال تعالىٰ:

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

وذلك البيت هو بيت لوط عليه السلام .

ثم قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي .. ﴾ إلى قوله: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] .

وعلى لسان موسى عليه السلام قال تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[3] .

لم يقل موسى عليه السلام إن كنتم يهوداً أو إن كنتم اسرائيليين وإنّما وصفهم بصفة ما أرسِل به من الله فقال لهم:

---

(١) سورة الذاريات: آية (٣٦) .

(٢) سورة يوسف: آية (١٠١) .

(٣) سورة يونس: آية (٨٤) .

﴿ إن كنتم مسلمين ﴾ .

حتىٰ فرعون الطاغوت عندما أدركه الغرق وأيقن بالهلاك ولم يكن لديه وقت ليبدّل فيه كلمة حق بكلمة باطل قال: وأنا من المسلمين.. قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾(١) .

فرعون نفسه الذي كان يقول من قبل أنا ربكم الأعلى اعترف بأن لله ديناً واحداً اسمه الإسلام بينما الذين يزعمون بأنهم يعترفون بوجود الله ينكرون دينه اسماً ومعنىً. ويسمّونه ويعدّدونه كما يشاؤن، ثم ينسبونه إلى السماء بعد تغييره.. إن هذا لعجب منهم!!!!، فرعون نفسه لم يقل وأنا من اليهود أو وأنا من الإسرائيليين بل قال وأنا من **المسلمين**. لماذا لم يقل فرعون أي كلمة غير كلمة الإسلام ؟

الجواب هو: إنه كان في ظرف لا يسمح له بأن يختار بديلاً لكلمة الحق، لأنه محتضر.. والمحتضر أي عندما يحضره الموت يكون مواجهاً. للملائكة يسمعهم ويراهم حين يقولون

---

(١) سورة يونس: آية (٩٠) .

له ما جاء به القرآن الكريم : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] .

والمحيطون بالمحتضِر لا يسمعون ولا يرون الملائكة. كما يراهم هو. قال تعالى:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[2] .

وقــال :

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3] .

فإذا كان المحتضِر كافراً فإنه يرىٰ من الملائكة ما يجعله يسلم ويؤمن بما جاءت به الرسل وذلك قبل موته لأنه يرىٰ بل ويتلقىٰ أول نوع من عذاب الآخرة في سكرات الموت

---

(١) سورة الأنعام: آية (٩٣) .

(٢) سورة ق: آية (١٩) .

(٣) سورة الواقعة: آية (٨٣ – ٨٧) .

فيؤمن بما جاءت به الرسل بأنه الحق. ثم يسلم ولكن لن ينفعه ذلك إلا كما نفع فرعون إسلامه.. قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾(1) .

والاحتضار هو من آيات الله التي لا ينفع الإيمان ساعاتها فيتلقى الكافر من ملائكة الموت أوّل عذاب من عذاب الآخرة وهو الضرب المهين على الوجه والدّبر. وهو لم يزل حياً ساعة الاحتضار قال تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾(2) .

وقـــال :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾(3) .

ففرعون أسلم كرهاً عندما كشف الله عن بصره غطاءه

---

(1) سورة الأنعام: آية (١٥٨) .

(2) سورة الأنفال: آية (٥٠) .

(3) سورة محمد: آية (٢٧) .

فرأىٰ ملائكة الموت أمامه يقولون له: أخرج نفسك اليوم تجزىٰ عذاب الهون، فعرف عندها أن موسىٰ حقاً رسول الله يدعوه إلىٰ دين الحق وهو الإسلام.. فنطق باسم الدين الإسلام الذي دعاه إليه موسىٰ عليه السلام ولكنه لن يعفيه ذلك من غضب الله ولعنته والخلود في النار.. فقال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(1) .

كذلك سحرة فرعون نطقوا باسم الإسلام. قال تعالى عن ألسنتهم :

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(2) .

كل ذلك يثبّت يقيننا بأن موسىٰ عليه السلام لم يكن يدعو فرعون وقومه وبني إسرائيل إلَّا إلى الدخول في دين الإسلام اسماً ومعنًى، فهو عليه السلام لم يدع بني إسرائيل إلىٰ دين باسم اليهودية أبداً، وإنّما دعاهم إلىٰ دين باسم الإسلام

---

(1) سورة يونس: آية (٩١) .

(2) سورة الأعراف: آية (١٢٦) .

ولا غير الإسلام ديناً لموسىٰ عليه السلام .

ثم تحدّث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام فقال:

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾(١) .

وهنا لنا وقفة أيضاً لنذكّر بما سبق شرحه بأننا لم نقصد ـ توضيح المعنى للدين الإسلام وإنّما قصدنا هو الاسم وما طرأ عليه من تغيير وتبديل وتقسيم ثم انتساب إلى السماء بصيغة الجمع .

أمّا المعنىٰ فقد يكون بمعنىٰ مسلمين أي مستسلمين وقد يكون بمعنىٰ مطيعين بإرادتهم الاختيارية مقبلين نحو الدخول في الدين الذي يدعو إليه الرسول بعد اقتناع بأنه حق، والمعنيان لا يختلفان في مفهومهما العام بدون تمييز، ولكن إذا لاحظنا في المعنيين بدقة وفرقنا بين الألفاظ لتبين لنا الفرق بين ما يعنيه الإسلام وما يعنيه الاستسلام وإن كلًّا منهما له معانيه الخاصة به، ولسنا بحاجة إلى الخوض في ذلك إذ إنه لا يهمنا إلّا اسم الدين كما هو عند الله وليس المعنىٰ، ثم قال تعالىٰ عن

---

(١) سورة النمل: آية (٣٨) .

سليمان عليه السلام:

﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[1] .

وعن ملكة سبأ قال تعالى:

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

ملحوظة: لم تقل ملكة سبأ اسلمت لسليمان وهذا هو معنى الاستسلام ولٰكنها قالت أسلمت مع سليمان، والفارق واضح بين المعنيين .

ثم قال تعالٰى عن عيسٰى والحواريين عليهم السلام:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3] .

وقـــال :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

---

(١) سورة النمل: آية (٤٢) .

(٢) سورة النمل: (٤٤) .

(٣) سورة آل عمران: آية (٥٢) .

وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

هؤلاء من الأنبياء وغيرهم جاء اسم الدين علىٰ ألسنتهم باسم الإسلام دون أي تعبير آخر بأي لفظ لاسم الدين أو بصيغة الجمع، بل جاء باسم الإسلام وبصيغة الإفراد علىٰ لسان كل نبي وتابع له وفي كل آية من آيات القرآن الكريم الوارد ذكر الدين فيها، ونحن لا نسعىٰ من وراء ذلك إلّا للحفاظ على اللفظ السليم نحو الدين حتىٰ لا ننسب إلى السماء أدياناً متعددة .

ثم إننا نبحث عن دليل يدلنا علىٰ أن الله سبحانه وتعالى ارتضىٰ بأن يكون دينه الواحد ثلاثة أديان فلم نجد دليلاً لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الشريفة، وأكرر رجائي إلى القاريء الكريم بأن يتفهّم جيداً إلىٰ ما نقصده من وراء هذا الكتاب... فنحن المسلمون نعلم علم اليقين بأن جميع الرسل من آدم إلىٰ محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام أرسلوا بدين واحد يدعو إلىٰ توحيد إلهٍ واحد هو الله سبحانه وتعالىٰ، لا نختلف في ذلك كما اختلف أهل الكتاب وفرقوا دينهم وكانوا

---

(١) سورة المائدة: آية (١١١) .

شيعاً... فإذا كنّا نعلم ذلك ونؤمن به فلمَ نجعله ثلاثة أديان منسوبة إلى السماء ؟

كما إننا نعلم أيضاً بأن اليهود والنصارىٰ أنزلت عليهم كتب من السماء تدعوهم إلى اتباع الدين الإســلام وليس إلى اليهودية والنصرانية كما يدّعون... ونعرف أيضاً معنى الإسلام وأركانه والإيمان وأركانه، كل ذلك معروف لدى كل مسلم لله مؤمن به.. ولٰكن ما نريده ونسعىٰ لتحقيقه من هذا الكتاب هو أن لا ننسب نحن المسلمون أكثر من دين واحد إلى السماء ولنترك عبارة «الأديان السماوية» ليقلها ويردّدها غير المسلمين. ونستبرىء نحن لديننا مادام ونحن نعرف ما تنطوي عليه تلك العبارة من مساس بصفة الدين الحق .

فاليهود والنصارىٰ لا شك لدينا بأنهم أمروا بأن يكونوا مسلمين وذلك ما يؤكده لنا القرآن الكريم، وأن يكون اسم الدين عندهم كما جاء علىٰ لسان موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، وهو الإسلام لفظاً ومعنًى ولم ينزل الله ديناً باسم الديانة اليهودية ولا باسم الديانة النصرانية .

ومن أهل الكتاب أنفسهم من يشهد بذلك بأنه كان منهم

من يعترف بالإسلام ديناً ويدين به قبل ظهور محمد ﷺ ..

وهؤلاء هم مَن وصفهم الله بالمؤمنين من أهل الكتاب كما جاء في قوله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾(١) .

وذلك يؤكد لنا تأكيداً قطعياً بأن الدين الذي جاء به موسىٰ عليه السلام هو الإسلام باسمه قبل معناه وليس باليهودية كما يزعم اليهود بذلك. ثم نكون علىٰ يقين بأن كلمة «أديان سماوية» هي كلمة باطل وليس لها أصل لا في القرآن ولا في الأحاديث الشريفة الصحيحة... وإنه لا يجوز أن تقال كلمة «الأديان السماوية» من فم مسلم يعرف ويتدبّر ما يتلوه من القرآن الكريم. وليكن علىٰ يقين بأن الله لم ينزل من السماء إلّا دين الإسلام لجميع الخلق.. وأمّا أن تقال كلمة «الأديان» دون انتسابها إلى السماء فلا حرج في ذلك إن شاء الله.. إذ أن الأديان واقعة وكثيرة من وضع البشر واختياره. أو بالأصح من عمل إبليس واختياره لهم... فهو الذي أقسم علىٰ ذلك

---

(١) سورة القصص: آية (٥٢ – ٥٣) .

أمام الله سبحانه وتعالىٰ، وقال ما جاء به القرآن الكريم:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(١) .

ولا مشقة علينا أن نشرح ما تيسر لنا عن معنىٰ الإخلاص لله في الدين: فالمخلَصون هم الذين يخلصون لله الدين والعقيدة ولا يسمحون بأي شبهة تدخل في دين الإسلام سواء كانت تلك الشبهة لفظاً مثل قولنا: «الأديان السماوية» أو فعلاً كإتيان ما حرّمه الله أو صرف أي جزء من الدين لغير الله.. كالدعاء أو النذر أو الاستعانة أو الاستغاثة أو التعظيم أو المودّة إلى الكافرين.. حتىٰ يكون الدين خالصاً لله وحده من كل الشوائب.. وهٰذه الصفات لا تكون في الذين استثناهم إبليس من إغوائه في قوله تعالىٰ:

﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾.

فلنكن علىٰ علم بأن كلمة « الأديان السماوية » هي من أكبر الشوائب الداخلة على الدين الإسلام نسبة إلى الجاهل عن معناها... أمّا مَن يعلم ذلك ويرضىٰ بتقسيم الدين إلى

---

(١) سورة صٓ: آية (٨٢ – ٨٣) .

ثلاثة أديان فكل بما كسب رهين ...

ومن معاني الإخلاص لله.. أن لا يجعل المسلم لدين الله شقيقاً لينسبه معه إلى السماء مثل قولنا «الأديان السماوية»... حتىٰ لا يكون بذلك قد جعل لله أكثر من دين... مما يتعارض وقولــه تعالى :

﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ .

فإذا ما قال المسلم كلمة **أديان** و لم يضف إليها كلمة سماوية فإنه لا إثم عليه في ذلك إن شاء الله ولا حرج.. لأن هناك من الناس الكثير من يدين باليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية والصابئة والبهائية والقاديانية والبوذية والماسونية ومن يعبد الشمس والقمر وكذلك من يعبد قبور أولياء الله الصالحين بالتبرّك والدعاء والتوسل إليه في قضاء حاجته وشفاء مريضه وعودة غائبه حتىٰ في طلب الولد من الله يجعله وسيلة بينه وبين الله .

كل ذلك من أنواع العبادات التي لا تنبغي إلَّا لله وحده فصرفت لغيره.. صرفت إلىٰ إنسان مات **وانقطع** عمله إلَّا من ثلاث إن كان له فيهن نصيب: تلك هي أمور لا يجوز

صرفها إلا لله وحده.. وتلك هي عبادة من دونه وإشراك به... فمَن فعل ذلك أو بعضه فقد عبد غير الله لأنه صرف نوعاً من العبادة التي لا تنبغي إلَّا لله وحده لغيره وهو الدعاء.. والدعاء هو مخ العبادة كما جاء في الحديث.. وبهذا يعتبر عابداً لغير الله ثم مشركاً بالله.

وتلك الصفات هي في أناس لا يختلفون في دياناتهم وعقائدهم وأفعالهم عن اليهود والنصارىٰ في الكفر والشرك بالله.. تلك الأديان لا ننكر وجودها وإنها تدين بها فئات من الناس.. ولكن الفرق بين أديان لأناس أهل كتاب وأناس لم ينزل عليهم كتاب هو: إن أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ أنزلت عليهم كتب من السماء تأمرهم باتباع دين الإسلام وفيها أحكام إلٰهية أمروا بتنفيذها.. فغيروا اسم الدين الذي أُمروا باتباعه ثم جعلوه ديانتين ثم نسبوهما إلى السماء.. ونسخوا أحكام الله من كتبه المنزلة عليهم من السماء وحرّفوها وبدّلوها حتىٰ إنه لم يبق فيها مما أنزلت به من السماء إلىٰ يومنا هذا حكم واحد لا في التوراة ولا في الإنجيل إلَّا الاسم.. اسم التوراة واسم الإنجيل فلا غير ذلك بقي فيهما مما أنزلا به من السماء.. وأمّا غيرهم من الناس والذين لم تنزل عليهم كتب

من السماء فقد اتخذوا لهمَ ديانات حسب أهوائهم لٰكنهم لم يقوموا بتحريفٍ في كتاب سماوي أنزِل عليهم ولا بتبديل اسم لدين إلٰهي أمروا باتباعه من قِبل الله علىٰ لسان رسول منهم كما فعل اليهود والنصارىٰ.. تلك هي المقارنة بين أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ وأمثالهم من الكفّار والمشركين والملحدين .

لكن وزر العالِم بالشيء أعظم من وزر الجاهل به.. فهؤلاء من غير أهل الكتاب اتخذوا لهم ديانات وقوانين، ولٰكنهم لم ينسبوها إلى السماء بهتاناً وزوراً كاليهود والنصارىٰ. لأنهم لو ادعوا ذٰلك لأنكر الناس عليهم بسبب عدم نزول كتب سماوية عليهم.. وذٰلك بعكس اليهود والنصارىٰ الذين لديهم الاحتجاج واللّجاجة والتبرير لقيام الدنيا وإقعادها والتبجح بأن أديانهم سماوية بسبب نزول الكتب السماوية عليهم وكأنهم أخذوا بما جاءت به من السماء طاعة لله ولرسـله.. فلم ينكر عليهم أحد حتىٰ من المسلمين أنفسهم الذين يعرفون كذبهم على الله ورسله... لأنها بالفعل أنزلت عليهم كتب من السماء... ولكن هل أنزلت لتأمرهم بالفحشاء والمنكر والبغي ليفعلوا ما لا يرضي الله ولا يرضي رسله ولا يجيزه عقل سليم؟، كلَّا.. إنها أنزلت بأحكام

الإسلام وأخلاق الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولٰكنهم اكتفوا بما هو عذر لانتسابهم إلى السماء وحسب.. هذه هي حجة أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ.. وإلَّا فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الكفار والمشركين بل إن ذنبهم عند الله أعظم وأشد لأن مرتكب الذنب على علم أعظم وزراً عمن لا يعلم.. فاليهود والنصارىٰ كفروا وأشركوا بالله علىٰ علم عندهم بالكتاب وبعد اتصالهم بوحي السماء علىٰ لسان موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.. ثم بادعائهم بأن ديانتيهم سماويتان بهذين الاسمين، وقد كذبوا على الله وعلىٰ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، فمن الصواب أن نقول رسالات سماوية وكتب سماوية ولٰكن من الخطأ بل ومن الإثم أن نقول أديان ثم نتبعها بكلمة سماوية .

وأحب أن أقول: إنني لم أقصد من وراء ذلك تطرفاً أو تعنتاً دينياً أو استخفافاً بمن اتخذ له ديناً ورضي به من دون الحق. فالدين لا إكراه فيه كما قال تعالىٰ:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(١) .

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٦) .

وإنما ذلك هو الواجب عليّ نحو ديني إخلاصاً لله وحده الذي أكمله لي وبه أتم نعمته علي وفرض علي الدفاع عنه حتى يكون خالصاً لله وحده ولو كره المشركون ولو كره الكافرون... ثم نصيحة مني لأمتي حتى نتجنب ما يعكر صفو الدين الحق، كما إن ذلك هو الفرض والواجب على كل مسلم بعينه نحو دينه وأمته سواء كان المسلم ذكراً أو أنثى فهو واجب عليه الدفاع عن دين الله الحنيف وعن صفائه حتى من الألفاظ الداخلة عليه .

فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان ما لم يعطه لغيره من الكائنات في الأرض، ولكنه سوف يحاسبه يوم القيامة على ما فرّط في جنب الله أكثر من أي خلق غيره لأنه لن يستعمل ما وهبه الله فيما يجب استعماله فيه من تفكر وتدبّر وتمييز بين الأمور من حق وباطل قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١) .

فقد وهب الله للإنسان العقل الذي يميّز به بين الحق

---

(١) سورة الإسراء: آية (٧٠) .

والباطل وبين البيّن والملتبس من الأقوال والأفعال نحو دينه، ثم أعطاه حرية الاختيار و لم يكرهه على الدخول في دينه **ولا علىٰ** دخول الإيمان في قلبه إلَّا بإرادته واختياره، لكنه إذا ما دخل في دين الله مختاراً غير مكره فقد فُرض عليه أن يخلصه لله بكل ما تعنيه كلمة الإخلاص.. وإلَّا فقد احتمل ظلماً علىٰ نفسه لأنه بدخوله في دين الله يكون قد جدّد ووثّق العهد القديم مع ربه على الإخلاص له في الدين.. فالله سبحانه وتعالىٰ لو أراد أن يكره أحداً على الدخول في دينه لفعل معه مثل ما فعل مع قوم موسىٰ عليه السلام.. الذين لم يؤمنوا إلَّا بالمادة عندما قال بعضهم لموسىٰ عليه السلام أرنا الله جهرة.. فأرغمهم الله على الإيمان به إرغاماً بفعل المادة ـ التي لا يؤمنون إلا بها ـ حتىٰ خافوا وقوعها عليهم فآمنوا بالقوة قال تعالىٰ :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) .

وقال جل شأنه :

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٧١) . (٢) سورة الشعراء: آية (٤) .

ولكن الله جلت عظمته لا يريد أعناقاً خاضعة ولٰكنه يريد قلوباً خاشعة مطيعة.. ثم لا يريد أن يكبت الإنسان ليسلبه ما وهبه من حرية الاختيار ليقهره علىٰ طاعته مادام وهو لم يظلم غيره.. فهو جل شأنه وتقدست اسماؤه أعطى الإنسان حرية الاختيار فإذا ما أراد به خيراً ربط علىٰ قلبه بالتقوىٰ والهدىٰ وإن أراد به غير ذٰلك تركه لنفسه وما تهوىٰ.. ونحن هنا لن ولم نطمع في هداية من أضله الله وأعمىٰ بصيرته عن الحق وسبق عليه القول.. تصديقاً وأخذاً بما جاء في قوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(١) ؟

فالهداية ليست بكثرة الموعظة ولٰكن الله يهدي من يشاء، فإذا ما أحبّ الإنسان الهداية لإنسان آخر والله يريد إضلاله فإنه لا يستطيع أن يهديه ولو عمل كل ما بوسعه في سبيل ذلك.. قال تعالى :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الرعد: آية (٣١) .

(٢) سورة القصص: آية (٥٦) .

أمّا قصدنا من وراء ذلك كله هو: أن يبقىٰ المسلم الذي مَنّ الله عليه بالإسلام مخلصاً لله الدين بكل ما تعنيه كلمة الإخلاص لله من الألفاظ والأفعال حتىٰ لا يكون دينه مخلخلاً متصدعاً وحتىٰ يكون هو كما أراده الله، أن يكون مخلصاً له الدين.. وذلك باستطاعة كل مسلم أن يحافظ على التلفظ السليم حتىٰ يتجنب ما يعكّر صفو دينه رضاً لله عزوجل بالمحافظة علىٰ وحدانية دينه وأن لا يجعله أدياناً متعددة لا في اعتقاده ولا في ألفاظه حتىٰ لا يترك أي مجال لأي شائبة علىٰ صفائه.. ذٰلك هو الدين القيّم الذي هو أكبر نعم الله قاطبة على البشرية فقد أنقذنا الله به من الضلال وبه جعلنا خير أمة أخرجت للناس وجعل الرسول ﷺ شاهداً علينا وجعلنا شهوداً على الناس.. أليس من الواجب علينا أن نحافظ علىٰ ما فضّلنا الله به؟، إن أقلّ واجب علينا نحو الدين هو: أن نحذر من أي عبارة من الألفاظ تدخل عليه وتطعن فيه دون أن نفطن إلىٰ ما تحمله من شبهة نحوه حتىٰ نكون كما أرادنا الله أن نكون مخلصين له الدين حقاً بكلّما تعنيه كلمة الإخلاص.. فكل عبارة تتعلق بالدين وتأتينا من غير أهله يجب علينا أن نحذرها ونتدبّر معانيها وما تحمله من غوامض الملابسات قبل تلفظنا

بها.. ثم نميّز بين كلمة سليمة اللفظ والمعنىٰ وكلمة باطل في لفظها ومعناها غير مقصود منا ما تنطوي عليه من معانٍ نحونا ونحو ديننا .

ولا يفوتنا أن نشير إلىٰ أن القسيسين والرهبان والأحبار من علماء اليهود والنصارىٰ في يومنا هذا يعلمون علم اليقين أكثر من بعض المسلمين أنفسهم بأن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو نفس الدين الذي جاء به موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام اسماً ومعنىٰ وإنه لا دين أنزل من السماء باسم اليهودية ولا باسم النصرانية وإنما هو دين واحد للجميع باسم الإسلام.. وأقصد ببعض المسلمين وهم الذين يعتقدون بأن موسىٰ عليه السلام له دين وعيسىٰ عليه السلام له دين آخر، وهٰؤلاء ليسوا بالقليل من عامة المسلمين.. فالعلماءُ من اليهود والنصارىٰ يعلمون أيضاً أنّ ما حدث لدين الله من التفريق والتقسيم والتعدد والتسمية من جانب أسلافهم المعاصرين لموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، إنّما هو نتيجة خلاف وعناد ومكابرة بين قوميتين متنافستين على المجد والشهرة.. قومية يهودية وأخرى نصرانية ضد بعضهم وضد الإسلام.. ويعلمون كذلك علم اليقين بأن دين الله واحد وباسم واحد

وليس ثلاثة أديان لثلاث أمم.. ومما لا شك فيه أن القسيسين والرهبان والأحبار عندما يسمعون من المسلمين عبارة «الأديان السماوية» يتّهمونهم بالغباء والجهل نحو دينهم الإسلام، لأننا نحن المسلمين نقولها بكل لسان دون تمييز منا بين لفظها وما تنطوي عليه من مساس بالدين الحق.. نرددها على ألسنتنا ونترنّم بها وكأنها حقاً أزلياً أبدياً عند الله كالإسلام.. وأمّا هم فيعرفون كلّما تعنيه تلك العبارة، ويعلمون علم اليقين بأنها كلمة باطل وأن دين الله واحد ولٰكن ذلك ما يريدون به التشويش على الإسلام.. ومما لا شك فيه بل ومن المؤكد أن لديهم بقية باقية مما أنزِل علىٰ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام من التوراة والإنجيل يعرفون بها الحق والباطل وهي مخفية عندهم عن العامة من شعوبهم وذٰلك ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالىٰ :

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾(١).

فهم ولا شك يعلمون الكثير ويخفونه حتىٰ لا يفضحوا

---

(١) سورة المائدة: آية (١٥) .

أنفسهم ويفضحوا أسلافهم أيضاً إذا ما أبدوا ما هو خافياً عن شعوبهم من الحق. لئلا تقول لهم شعوبهم لماذا لا تقولون لنا الحق من قبل؟ ولماذا تستمرّون في إخفاء الحقيقة عنّا؟ ففضلوا فضيحة الآخرة والنار على فضيحة الدنيا أمام الناس .

وهنا نتساءل: هل يوجد في القرآن الكريم ولو آية واحدة تدل علىٰ أن أي نبي أو رسول تلفّظ بأي عبارة أخرىٰ ليسمي بها الدين الإسلام حتىٰ نكون علىٰ علم وقناعة بأن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل رسولاً من السابقين بدين يحمل اسماً غير الإسلام، قبل إبراهيم أو نوح عليهما الصلاة والسلام، وحتىٰ نكون أيضاً علىٰ يقين بأن للدين اسماً آخر جاء علىٰ لسان نبي من أنبياء الله غير الإسلام؟.. وبكل تأكيد لم يوجد ذلك لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الشريفة.. فإن قال قائل إن الكثير من الأنبياء والرسل لا يتكلّمون باللغة العربية لغة القرآن الذي يتحدث عنهم نقول له صدقت في ذلك.. فالكثير من الرسل لا يتكلّمون باللغة العربية، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ وهو خالق الألسنة والقلوب وخالق كل شيء ومليكه، هو المعبّر في كتابه الكريم عن لسان كل نبي بما ينطق به قلبه قبل لسانه، وتعمل به جوارحه ويأمر به قومه نحو الدين. كما عبّر لنا عمّا تقوله مخلوقاته

من غير الإنسان مثل السماوات والأرض والطير والنمل والجبال والنار.. ثم نتساءل أيضاً: هل تلفّظ من لم ينطق عن الهوىٰ ﷺ بكلمة أديان ثم أتبعها بكلمة سماوية؟ كلَّا وألف كلَّا.. إنّ ذٰلك لم يثبت عنه ﷺ أبداً في أي حديث صحيح، وأنا أقول عن نفسي بأنني غير ملم بالاطلاع على الأحاديث النبوية الشريفة إلَّا إنني واثق كل الثقة من عدم ذٰلك في الأحاديث الشريفة الصحيحة غير الضعيفة أو المستحسنة أو المشبوهة.. لأنه ﷺ لن ولم تخالف أحاديثه معاني القرآن الكريم إطلاقاً، لأن المصدر لذلك واحد هو الله.. فلو أن العارفين والراسخين في علم الحديث بحثوا فيه لما وجدوا ما يدل علىٰ أن رسول الله ﷺ نسب ديناً إلى السماء غير دين الإسلام. لأنه ﷺ معصوم فلا يقول كلمة إلا ويعرف معناها ويعرف ما إذا كانت فيها شبهة على الدين أم لا، فكل كلمة يقولها ﷺ هي حكمة أوحىٰ الله بها إليه قال تعالىٰ:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[1].

ومن المعروف أن الأديان المقصود انتسابها إلى السماء هي

---

(١) سورة النجم: آية (٥).

اليهودية والنصرانية إلى جانب الدين الحق الإسلام. وحجة اليهود والنصارى كما أسلفنا إنهم أهل كتب أنزلت عليهم من السماء.. فليس لديهم برهان ولا دليل على أن ما يقومون به الآن من طقوس دينية هي ما كان يقوم بها موسى وعيسى عليهما السلام من قبل.. فمثلاً: موسى وعيسى عليهما السلام كانا يؤديان الصلاة بركوع وسجود كما تؤديها أمة محمد ﷺ ويؤديان صيام رمضان، وكذلك زكريا ومريم عليهما السلام قال تعالى:

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(1).

وقال:

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾(2).

كذلك لم تكن أماكن العبادة عند الأنبياء وتابعيهم باسم الكنائس كما عند اليهود والنصارى.. ولكنها كانت تسمى بالمساجد.. قال تعالى:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾(3).

---

(1) سورة آل عمران: آية (٤٣).

(2) سورة آل عمران: آية (٣٩).

(3) سورة الكهف: آية (٢١).

لم يقولوا كنيسة، إن كل شيء لهم في الدين مبتدع فلم يقتدوا بموسىٰ ولا بعيسىٰ عليهما السلام كما يقتدي المسلمون بمحمد ﷺ. فهم ليس لديهم حجة لانتساب فعلهم إلى السماء إلَّا قولهم إننا أهل كتب سماوية أو مقدسة كما يقولون.. وهل هي كما أنزلت من السماء؟.. كلَّا.. إن ما يقومون به من طقوس في عباداتهم شبيهة بما يقوم به المشعوذون وسدنت الأصنام والأوثان والسحرة. فلا ترتاح ولا تطمئن به ولا إليه نفس مؤمنة، ولا يمتّ بصلة إلى العقل فضلاً عن أوامر السماء، ولا يقبله عقل سليم.. وذلك ما لا ينبغي أن يقوم به نبي شرفه الله بالرسالة أو يأمر به قومه.. ومما لا شك فيه أن من اختصهم الله بالاتصال بوحي السماء وأنزل عليهم كتباً وأرسل إليهم رسلاً قد نالوا الشرف والتكريم من الله سبحانه وتعالىٰ .

ولٰكن الشرط في ذلك أن يتخذوا ما جاءت به الرسل دستوراً لحياتهم، وإلَّا فغيرهم أفضل منهم وأخفّ عذاباً، ثم لا يزيدهم عدم الأخذ بما جاءت به الرسل إليهم إلا لعناً وغضباً ومقتاً ووبالاً وخسراناً من الله في الدنيا والآخرة، فلو أننا نظرنا إلىٰ كتبهم من خلال القرآن الكريم لوجدناها

تأمرهم بعبادة رب واحد ليس له ولد هو الله.. والتدين بدين واحد هو الإسلام. ثم باتباع الرسول النبي الأمي ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﷺ.. وذلك عهد أخذه الله على جميع الأنبياء والرسل ومن اتبعهم ومن آمن بهم.. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(١).

هٰكذا يأمرهم الله سبحانه وتعالىٰ في التوراة والإنجيل والقرآن باتباع محمد ﷺ. ولكنهم فرقوا دينهم الذي أمروا باتباعه واختلفوا، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران: آية (٨١).

(٢) سورة البينة: آية (٤ – ٥).

وقـــال :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾[1] .

وقـــال :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وقـــال :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] .

* * *

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٩) .

(٢) سورة الأنعام: آية (١٥٩) .

(٣) سورة آل عمران: آية (٨٥) .

الفصل الثاني

أسباب تغيير وتبديل اسم دين الإسلام وتقسيمه إلى ديانتين: يهودية ونصرانية من قِبَل اليهود والنصارىٰ

فبعد أن بيّنا ما استطعنا بيانه عن الدين الإسلام.. وإنه لا دين عند الله غيره وإنه هو الحق الذي ينسب إلى السماء.. وبعد أن صار لدينا العلم اليقين بل الحق اليقين القاطع بأن الدين الذي فرضه الله على جميع خلقه وأنزله من السماء هو دين الإسلام اسماً ومعنًى فلا دين غيره عند الله.. وأن موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام لا يمكنهما اتخاذ ديناً غير دين الإسلام ولا أن يأمرا قومهما بذٰلك أبداً.. لأنهما من جملة الأنبياء والرسل الذين أرسلوا بدين الإسلام. وزيادة علىٰ ذلك إنهما من أولي العزم من الرسل الخمسة المعدودين الذين فضلهم الله علىٰ جميع الرسل. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فبعد ذلك كلّه نود أن نعرف: كيف تغيّر اسم دين الله الإسلام لدى قومهما دون سائر الأمم؟.. وكيف صار ذلك؟. «قوميتان». قومية يهودية.. وأخرىٰ نصرانية. جعلت كل منهما الدين باسمها. فما هو السبب في ذلك ؟

فنقول: وبالله التوفيق والإعانة: إن اليهود والنصارىٰ بحكم طبيعتهم العدوانية لله ولرسله وشرائعه ومناهجه. ثم بعدواتهم لبعضهم من بعض حيث أغرىٰ الله بينهم العداوة والبغضاء كما جاء في قوله تعالى :

﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1] .

من أجل ذلك كله أراد كل منهما أن يمتاز عن الآخر حتىٰ لا يكونوا أمة واحدة. لأن دين الله إذا اجتمعت فيه الأمم تنصهر فيه حتىٰ تكون أمة واحدة، فلم يكن لبعضهم تمييز عن بعض، ولم تكن فيه تعصبات قومية أو تفاخر أنساب وإنما يكونوا أمة واحدة يجمعهم التوحيد لإلٰه واحد فلا فضل لرفيع علىٰ وضيع إلَّا بالتقوىٰ كما جاء في الحديث الشريف: « **لا فضل لعربي علىٰ أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوىٰ** ». وبما أن اليهود والنصارىٰ لا يريد كل منهما إذابة شخصيته في شخصية الآخر نتيجة الاندماج باسم أمة واحدة يجمعها دين واحد وخاصة من جانب اليهود الذين يدّعون بالأفضلية على سائر الأمم في الأرض وأنهم شعب الله المختار كما يصوّر لهم إبليس ذلك، فقد أراد كل من اليهود والنصارى أن يمتاز عن الآخر ويحتفظ بكامل صفاته وقوميته.. ولٰكن ما هو الحل للوصول إلى تحقيق ذلك إذا كان دين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام هو العقبة في طريق استقلال كل منهما

---

(١) سورة المائدة: آية (١٤) .

عن الآخر بذاته وصفاته؟.. حيث إنه لا يمكن انفراد أحد الطرفين به دون الآخر ولا يتنازل أحدهما للآخر .

فإن بقي كل منهما علىٰ ذلك الدين دين موسىٰ وعيسىٰ وهو الإسلام فإنه لا خلاص له عن الآخر مادام يربطهما ما ربط عيسىٰ بموسىٰ عليهما السلام وهو دين الإسلام.. فما هو الحل لذلك ؟

ولهذا السبب فهما لم يريا حلاً لتحقيق ذلك إلا بترك ذلك الدين الواحد كلية والتخلي عنه، وأن يتخذ كل منهما ديناً خاصاً به ليسميه كما يشاء حتىٰ يبرز هويته وقوميته متميزاً به عن الآخر.. فعمدوا إلىٰ ترك ذلك الدين الحق دين نوح وهود وصالح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه.. فاتخذ كل منهما ديناً منسوباً إلىٰ قوميته التي يُنسب إليها .

فاسمته اليهود الديانة اليهودية علىٰ أن ذلك دين موسىٰ عليه السلام باسم الجد يهوذا.. واسمته النصارىٰ الديانة النصرانية علىٰ أنه دين عيسىٰ عليه السلام وباسم أنصاره الحواريين من بني إسرائيل.. ثم نسب كل منهما دينه المختار من قِبَله إلى

السماء بالاسم الذي اختاره هو وليس بما أسماه الله علىٰ لسان موسىٰ وعيسىٰ ومن قبلهما إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط عليهم جميعاً الصلاة والسلام... فبحكم أن اليهود منسوبون إلى السبط يهوذا والنصارىٰ ينسبون أنفسهم إلى الأنصار، فإنّ ذلك هو السبب في تسمية دين الله انتساباً إلىٰ يهوذا من قِبَل اليهود وإلى الأنصار من جانب النصارىٰ. ليُعرف كل منهما بذاته المستقلّة عن الآخر وهذا هو معنىٰ قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾(١) .

أي أن دينهما الأول الذي أمرهما موسىٰ وعيسىٰ عليهما االسلام باتباعه هو الإسلام دين الفطرة فتفرقا عنه وجعلاه ديانتين كما تقدم.. فلما ظهر محمد النبي الخاتم ﷺ وجاء بدين الإسلام ليظهره الله من جديد على يد محمد ﷺ ليقول للناس كآفة إن دين موسىٰ وعيسىٰ هو الإسلام، وهو الذي جئت به من عند الله.. فعرفا إنّه الحق الذي تفرقا عنه فلم يؤمنا

(١) سورة الأنعام: آية (١٥٩) .

به بل تفاخر كل منهما بدينه وادعىٰ بأنه على الحق وأن دينه هو الدين الحق وأن الآخر كاذب ومفتري، فكان كل منهما يقوّي حجته أمام خصمه ليظهر حجته هو.. فقال النبي ﷺ: إنني بعثت على ملة الخليل إبراهيم ودينه هو الإسلام وإبراهيم أبوكم والأولى بكم أنتم قبل غيركم الاتباع لملته.. فقال كل من اليهود والنصارى: نحن علىٰ دين إبراهيم وهو منّا.. فقالت اليهود إنّ إبراهيم يهودي جاء بدين اليهودية وقالت النصارىٰ إنّ إبراهيم نصراني جاء بدين النصرانية، فقال الله سبحانه وتعالىٰ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(١) .

ثم قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا

(١) سورة البقرة: آية (١١٣) .

(٢) سورة آل عمران: آية (٦٥) .

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

ثم قال تعالى :

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ .

ثم وجّه الكلام إلىٰ رسوله محمد ﷺ ليسئلهم عن ذٰلك فقال له : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[2] ؟ .

والمعنىٰ لذلك هو: لمَ تدّعون أيها اليهود والنصارىٰ كذباً وافتراءاً وزوراً وبهتاناً على الله وإبراهيم بقولكم إنّ إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً وهو مسلم.. ثم إنّ التوراة والإنجيل الذان أنتم بسببهما صرتم يهوداً ونصارىٰ وأصبحتم أهل كتاب أنزلا من بعده؟ فلماذا تنسبونه إليكم؟ مع إنه من المنطقي ومن الطبيعي ومن المتعارف عليه أن ينسب اللّاحق بالسابق وليس العكس.. فكلامكم هذا عن إبراهيم ليس كلام قوم يعقلون ويميّزون بين الأمور.. فلو كنتم تعقلون لمَا نسبتم الجد إلى الحفيد، لأنه لم يفعل ذلك إلّا غير العاقل الذي لا يميز بين

---

(١) سورة آل عمران: آية (٦٧) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٤٠) .

الحق والباطل، فمن الحق والعدل والصحيح أن تنسبوا أنفسكم إليه كذرّية له. فإن كنتم صادقين بأن إبراهيم منكم وأنتم منه فاتبعوا ملته كما تبعها أبناؤه من بعده وجاء بها هذا النبي الأمي محمد ﷺ.. من هنا أحسوا بالخطر وعرفوا إنه ﷺ جاء بالحق الذي يدمغ الباطل ويوحّد دين الله تحت اسم واحد كما كان لموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ليقول لهم إنه لا دين عند الله إلا الإسلام، فمن أين جئتم بهذين الاسمين لدين الله؟.. وبعد هذا لم يكن أمامهم وقتها إلَّا أن يتخذوا موقفاً موحداً على الرغم مما بينهما من تنافر وعداوة وبغضاء، إلَّا أن الموقف أخطر من الخلاف بينهما مما يتطلب الاتحاد بين الكافر والفاجر لتحقيق الباطل وإبطال الحق، من أجل هدف واحد مشترك بين اليهود والنصارىٰ ضد الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ.. ذلك الهدف هو: محاولة ارتداد المسلمين عن دينهم وكراهة لرسالة محمد ﷺ. وطمعاً في إطفاء نور الله بأفواههم لأنهم يعرفون أنهم علىٰ باطل، فقالوا بلسان واحد لمحمد ﷺ: يا محمد كونوا علىٰ دين يهودي أو علىٰ دين نصراني حتىٰ تكونوا علىٰ دين معترف بسماويته من قِبَل الناس جميعاً. وذٰلك معنىٰ ما جاء به القرآن الكريم في

قولـه تعالـى :

﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾[1] .

فقال جل شأنه لنبيه محمد ﷺ ليردّ عليهم بما قالوا:

﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

إن في هٰذه الآية الكريمة ما يطمئن قلوبنا وما يريحنا عن البحث من أجل دليل علىٰ بطلان انتساب الديانتين اليهودية والنصرانية إلى السماء سواء كان اسماً أو معنًى وإنهما بهذين الاسمين بالذات من اختلاق اليهود والنصاىٰ لن ينزّل الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ما يدل على انتسابهما إلى السماء بهذين الاسمين.. فلو أنهما كانا سماويين حقاً بأمرٍ من الله علىٰ لسان موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام لمَا مقت الله المتبعين لهما ولعنهم ثمّ برّأ خليله إبراهيم ﷺ وأبناءه منهما بل لقال فيهما قولاً ليّناً يناسب ما وهب لهما من القداسة والتدين بهما ولو بقدر ما بين عيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ثمّ لقال سبحانه وتعالىٰ بأنهما كانا حقاً من قبل

---

(١) سورة البقرة: آية (١٣٥) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٣٥) .

وقد أبدلناهما لمحمد بدين جديد اسمه الإسلام، ولٰكنه جل شأنه لم يشر إليهما ولو بكلمة تكريم لهما ولا رضاً عنهما.. بل عبّر عن مقتهما ومقت المتبعين لهما بقوة وكراهة من قِبل اللّٰه عز وجل وذٰلك لسببين :

الأول: تبديل اسم دين الله الحق ثم تقسيمه إلٰى ديانتين يهودية وأخرىٰ نصرانية واتخاذهما بدلاً عنه...

والثاني: انتسابهما إلى السماء بهذين الاسمين الممقوتين باطلاً بالكذب والافتراء على الله وعلٰى موسٰى وعيسٰى عليهما السلام .

إن الدين وأحكامه واسمه أيضاً ليس من مهمة العقل ليفعل الإنسان ما يراه مناسباً لهواه، وإنّما الدين وأحكامه يكون بالتلقي عن الله سبحانه وتعالٰى بواسطة رسله من أوامرٍ باتباع ونواهي بامتناع أو اسم أنزل به من الله سبحانه وتعالٰى، فليس للإنسان أن يفعل ما يراه مناسباً له في دين اللّٰه. مثل تعديل في منهج أنزله الله في كتابه، أو نسخ حكم ثقل علٰى نفسه وأحب تخفيفه، أو تغيير اسمٍ لدين الله لينسبه إلٰى عائلته أو قبيلته أو قوميته كما فعل اليهود والنصارىٰ لدين اللّٰه.. فالعقل إنما يميّز بين أقوال وأفعال قد تطرأ علٰى دين اللّٰه حتٰى يعرف

الحق من الباطل، وليس للعقل التعقيب علىٰ حكم أنزله الله أو يطعن في حكمة أمرٍ أمر الله به و لم يستطع استيعابها.. فالدين الإسلام ذكر اسمه لفظاً علىٰ لسان نوح وهو عليه السلام أبو الأنبياء، ومن شيعته إبراهيم ﷺ، وإبراهيم ﷺ سمّى أبناءه بالمسلمين.. وقال: وأنا من المسلمين وقال: أسلمت لرب العالمين، وقال: لا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وقال يوسف عليه السلام توفني مسلماً وألحقني بالصالحين. وقالت الأسباط عليهم السلام ونحن له مسلمون.. وقال موسىٰ عليه السلام لبني إسرائيل إن كنتم مسلمين.. وقال سليمان عليه السلام وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين.. وقالت الحواريون عليهم السلام واشهد بأننا مسلمون.. ومحمد ﷺ بُعث علىٰ ملة إبراهيم ﷺ. والحلقات متصلة ببعضها لا انفصام بينها في إطار دين واحد اسمه الإسلام ومعناه توحيد الله جل شأنه والانقياد له بالطاعة والأخذ بما جاء به من الأحكام دون المعاجزة أو المجادلة عن الحكمة أو التعليل بما يراه العقل مناسباً لهواه .

إذاً فَمن مِن هؤلاء الأنبياء الذي اتبع ديناً غير الإسلام؟ فإذا كنّا نؤمن بذٰلك كلّه ونعلم علم اليقين بأنه في كتاب

الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. فما هو العذر لدينا حتىٰ نستمر في ترديد كلمة باطل ليس لثبوتها دليل لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الشريفة وهي كلمة «الأديان السماوية» بعد أن تبين لنا بطلانها؟ فهل نحن ملتزمون لأي جهة بالاستمرار في ترديدها إلىٰ أن نلقى الله سبحانه وتعالىٰ من أجل سبب واحد وهو: أنها كانت ولاتزال دارجة علىٰ كل لسان وأنه مستحيل التحوّل عنها؟..ثم نستنكف عن إظهار الحقيقة في وقت متأخر عرفنا فيه ببطلانها خوفاً من لومة لائم؟: إننا لا نطمع أن ينتهي العالَم عن ترديد تلك العبارة فليقلها إلىٰ يوم القيامة.. ولٰكن مرادنا أن ننتهي نحن المسلمون عن قولها، فلا نرددها نحن المدينون بدين الإسلام. أمّا مَن لم يدن بدين الإسلام فسواء عليه قالها أم لم يقلها فذمة الله بريئة منه والنار موعده .

فهي بلا شك دارجة علىٰ كل لسان، ولٰكن لم يسبق وأن تلفّظ بها خاتم الأنبياء محمد ﷺ بلسانه أبداً، ولم يسبق أن تلفّظ بها أي صحابي من صحابته رضوان الله عليهم... وبما أن أسوتنا في محمد ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يأتي بما يخالف رأيهم، إن المسلم الحق المخلص لله

لا تأخذه لومة لائم أن يقول كلمة حق بشأن دينه مهما توقع بتوجيه أي لائمة إليه بشأن قول الحق لاسيّما إذا كانت كلمة حق فيها رضاً لله ورضاً لرسوله ﷺ وغيظ لمن يكره محمداً ﷺ ويكره دينه ومن يدين به، فلنكره الكارهين ولنغيظ الغائظين رضاً لرب العالمين .

أخي القاريء الكريم إن أحببت كل الخير لنفسك فلا تؤمن بوجود أكثر من دين واحد ينسب إلى السماء وهو الإسلام اسماً ومعنًى إلّا إذا كان عندك الدليل القاطع علىٰ ذلك من القرآن والسنة أو من مصدر موثوق به يثبت لك بأن عند الله سبحانه وتعالىٰ ثلاثة أديان وعليك بنفسك أولاً، ثم من تحب له الخير من بني أمتك، كما يجب عليك أن تحب الخير لكل مسلم آخذاً بقول خاتم الأنبياء ﷺ حيث يقول: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ». والمحبة الحقيقية ليست في عرض من أعراض الدنيا وإنّما المحبة الحقيقية المقصودة في الحديث هي أن تحب له ما تحب أن يكون لك في الآخرة، وتكره عليه ما تكره أن يكون عليك في الآخرة، تلك هي أسمىٰ المحبة في الله من المؤمن لأخيه المؤمن وأنعم بما دونها من أمور الدنيا كتكملة لها .

أخي القاريء الكريم: كيف تؤمن بأن الله ارتضىٰ اسماً لدينه غير الإسلام في فترة ما بين إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام؟ ثم كيف ارتضىٰ سبحانه وتعالىٰ بتبديل اسم دينه في تلك الفترة بالذات من الدهر السحيق من إسلام إلىٰ يهودية ونصرانية ثم يعود بعد ذلك من جديد علىٰ يد محمد ﷺ إلى اسمه الحق الإسلام؟ وهل ذلك تكريماً خاصاً من الله لليهود والنصارىٰ علىٰ حساب دينه الحنيف دون سائر البشر؟ ثمّ لماذا لم يجعل الله سبحانه وتعالىٰ ديانات سماوية بأسماء الأمم السابقة مثل: قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب، ليقال الديانة النوحية والديانة الهودية أو العادية نسبة إلىٰ عاد والديانة الصالحية أو الثمودية نسبة إلىٰ ثمود والديانة الشعيبية أو المدينية نسبة إلىٰ مدين. مثلاً فتلك الرسل أرسلوا إلىٰ أمم يدعونهم إلى الله كما أرسِل موسىٰ وعيسىٰ إلىٰ بني إسرائيل.. فلماذ لم تكن لهم ديانات سماوية بأسمائهم كاليهود والنصارىٰ؟ فهل تلك الرسل ليس لهم ديانات سماوية؟. أم ليس لهم شأن عند الله في الدعوة؟ وإلىٰ أي ديانات كانوا يدعون قومهم إذا لم تكن دعوتهم إلى الله إلى الدين الإسلام .

ففي هذه النقطة بالذات يكون للعقل التّدخّل بتفكيره

وتدبّره وتمييزه، بين الشك بأن لله ثلاثة أديان أنزِلت من السماء وبين اليقين بأن ليس لله غير دين الإسلام اسماً ومعنًى منذ خلق السماوات والأرض إلىٰ يوم القيامة.. إن الله سبحانه وتعالىٰ لم يهب العقل للإنسان ليقرأ القرآن ويرتّله مرة بعد مرة فحسب. وكأنه آلة تسجيل تبدىء وتعيد ما سجل فيها، وإنّما وهبه العقل ليفكّر به ويتدبّر ويستنبط من بحر القرآن الغزير ما يصل إليه من الحق. ولا أقول إن عقل الإنسان يستطيع احتواء ما في القرآن الكريم من رموز وبيان.. ففيه كرّمه الله ما لم يتوصل إليه حتى الآن عالم ولا راسخ في العلم وفيه ما لم يكتشفه مكتشف، فهو بحق المعجزة الباقية لمحمد ﷺ إلىٰ أن تقوم الساعة، ثم نقول ولعل في التكرار فائدة إن القرآن الكريم جاء مصدق لما جاءت به الكتب السابقة ما لم يكن فيها تبديل أو تحريف لأحكام الله سبحانه وتعالىٰ ولٰكن التوراة والإنجيل كما نعلم ذٰلك لم يبق فيهما إلىٰ يومنا هذا حكم واحد كما أنزل من السماء إلا اسم التوراة والإنجيل، وذلك دليل آخر علىٰ بطلان ما يدعيه اليهود والنصارىٰ من انتساب ديانتيهما إلى السماء، فكل حكم أنزل في القرآن الكريم قد أنزل من قبل في التوراة والإنجيل: من

قتل النفس بالنفس وجلد الزاني ورجم المحصن وقطع يد السارق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والإحسان إلى الوالدين وإلىٰ ذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وقول المعروف للناس .

تلك الأحكام أنزلت من قَبل القرآن في التوراة والإنجيل ذلك ما يؤكده لنا القرآن الكريم كما جاء في الآيات التالية، قال تعالى : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(١) .

فالنبيون والربانيون والأحبار هم الذين أشار إليهم القرآن الكريم بأنهم أسلموا وهم الذين عندهم علم بالكتاب وعلم بالدين وهم الذين يحكمون بما أنزل الله في التوراة للذين هادوا

---

(١) سورة المائدة: آية (٤٣ - ٤٤) .

من بني إسرائيل. ومعنىٰ **هادوا** أي رجعوا إلى الله وتابوا إليه وليس المعنىٰ لكلمة **هادوا** هو اتخاذ ديناً غير الإسلام مشتقاً من هذه الكلمة **هادوا** كما يظن البعض وسيأتي شرح عن ذلك إن شاء الله، ثم قال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٤٥ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝٤٧ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١) .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

---

(١) سورة المائدة: آية (٤٥ - ٤٨) .

إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] .

وقـــال :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

والمقصود بالذين من قبلنا هم أهل الكتاب ومن سبقهم من الأمم.. فالمؤمنون منهم المصدّقون بالرسل كانوا يصومون رمضان، فمنهم من صام ألف رمضان في عهد نوح عليه السلام وما قبله وبعض ما بعده. فعوّض الله أمة محمد ﷺ بليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لتطمئن قلوبهم بمثل من سبقهم بالأجر العظيم.. فهٰذه الأحكام كلها أنزلت في التوراة والإنجيل قبل نزول **القرآن الكريم** والقرآن جاء مصدق لما قبله ومهيمن عليه، فأحكام الإسلام كما جاءت في التوراة والإنجيل جاءت في القرآن الكريم ولا تزال إلىٰ أن تقوم

---

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٨٣) .

الساعة، فإن كان هناك فرق بين التوراة والإنجيل من جهة وبين القرآن الكريم من جهة أخرىٰ.. وأقصد بالتوراة والإنجيل كما أنزلا علىٰ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وليس كما هما اليوم.. فإن كان هناك فرق فهو في بعض الأحكام الفرعية أو فيما اختص الله به هذه الأمة.. أمة محمد ﷺ في بعض التشريعات.. مَثَل هذه الأمة كمثل أي أمة اختصها الله بشرعه ومنهاج من الدين.. فشرعة ومنهاج هذه الأمة هما ما بقي من شرائع ومناهج الدين الإسلام عند الله وهما الَّذان أكمل الله بهما الدين لرسوله الخاتم محمد ﷺ وأمته. قال تعالىٰ:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١) .

وأمّا أصول الأحكام الدينية التي لا يقوم الدين إلَّا بها فموجودة في جميع الكتب السماوية وخاصة منها التوراة والإنجيل وعلىٰ رأس تلك الأحكام اسم الدين بالإسلام. ونحن بهذا لا نهدف إلىٰ تعديل موازين الكون الذي خلقه الله كما شاء سبحانه وتعالىٰ، ثم تعهد لجهنم بأن يملأها من الجن

---

(١) سورة المائدة: آية (٣) .

والإنس والشياطين. فلو أن الله سبحانه وتعالىٰ هدىٰ جميع الإنس والجن إلىٰ تقواه لكانت الحياة رتيبة ولكانت الأمة واحدة ولدخلوا جميعاً الجنة و لم يبق للنار نصيب منهم بل لما كانت هناك نار ولا جحيم أصلاً.. إذاً فالاختلاف بين خلق الله من الإنس والجن والشياطين أمر واقعي وطبيعي لإتمام وعد الله لجهنم بأن يملأها.. قال تعالىٰ :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(1) .

وقـــال :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(2) .

فنحن لا نقصد من وراء ذلك إلَّا أن نمسك ألسنتنا عن القول الباطل مثل قولنا «الأديان السماوية» ثم إشغال فكر

---

(1) سورة السجدة: آية (13) .

(2) سورة هود: آية (118 – 119) .

القاريء الكريم حتى يرسخ في ذهنه بأن كلمة «أديان سماوية» ليست كلمة حق أن تقال من فم مسلم لله مؤمن به بل كلمة باطل.. ولنعلم أيضاً بأن علينا أن نوحّد اسم دين الله كما نوحده جلت عظمته.. ثم ندرك ما تعنيه كلمة أو عبارة « الأديان السماوية » وندرك ملابساتها للدين الحق حتى نتجنب اللغو في اسم وصفة الدين وانتسابه إلى السماء بصيغة الجمع. إن أهل الكتاب قد جعلوا الله ذاته سبحانه وتعالى ثالث ثلاثة، وليس دينه أكبر من ذاته جل شأنه.. فقد جعلوا دينه أيضاً ثالث ثلاثة أديان.. ونحن نعارضهم في ذلك بقوة ونقول: إنّ الله واحد ودينه واحد وباسم واحد لم يتغيّر و لم يتبدّل.. فلا إله إلّا الله ولا دين إلّا الإسلام لله اسماً ومعنىً.. ونؤكد الاسم قبل المعنى.. لأن اسم الدين هو لب الموضوع لهذا الكتاب مع إفراده بالانتساب إلى السماء كما قال تعالى :

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(١) .

أخي القاريء الكريم إنّ مِن أعظم قول قاله الله وأعظم شيء على الإطلاق فرضه الله هو تسميته لدينه بالإسلام

---

(١) سورة ق: آية (٢٩) .

وإفراده له بالوحدانية لا بالتثنية ولا بالجمع.. فاعلم أنه لا يجوز لمسلم أن يبدّل قولاً قاله الله سبحانه وتعالى: فالله سبحانه وتعالىٰ يقول:

﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾.

ولم يقل إنه كان عنده دين يهودي أو دين نصراني قبل أن يكون عنده الإسلام ديناً.. والرسول ﷺ يقول: « **يولد المرء مسلماً فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** ». وفي لفظ آخر: « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة حتىٰ يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » أو كما قال ﷺ.. فهل يحق لنا أن نكون إلىٰ جانب من جعلوا لله أكثر من دين وجعلوه هو ذاته جلت عظمته ثالث ثلاثة حتىٰ نقول مثل قولهم إن عند الله ثلاثة أديان بدلاً من دين واحد ثم ننسبها إلى السماء في قولنا « الأديان السماوية »؟. إن الإسلام قد دانت به أمم وأنبياء من قبل أن تكن اليهودية والنصرانية شيئاً مذكوراً فكيف يكون لهم الحق دون غيرهم في تغيير دين الله ؟

إنّ البعض من المسلمين يرىٰ أنّ التلفّظ بذٰلك هو كلمة تقال لا تضر ولا تنفع وأنّ ذٰلك شيء ليس له أي أهمية أو تأثير علىٰ وحدانية الدين الحق. ولكنني أرىٰ غير ذٰلك

واعتقد إنه كذلك عند كل مسلم بعد أن يعلم بالحقيقة وبعد أن يستعمل فكره وتدبّره.. أمّا إذا كان عن جهل فإنّ الله غفور رحيم.. ولٰكن.. أليس عمل الإنسان أقوال وأفعال وعقائد؟ كما جاء في الحديث الشريف: « **وهل يكب الناس علىٰ وجوههم في النار إلّا حصائد ألسنتهم** » أو كما قال ﷺ؟ إنّ كلمة باللسان قد يثاب الإنسان عليها أو يعاقب فما بالنا بقول يطعن في دين الله مثل قول « الأديان السماوية » .

إنّ الله سبحانه وتعالىٰ قد برّأ خليله إبراهيم ﷺ من الانتساب إلىٰ ديانتين ننسبهما نحن إلى السماء باطلاً دون إدراك منا بما يترتب علىٰ ذلك اللفظ من مساس بالدين الحق.. قال سبحانه وتعالى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١) .

وهٰذه الآية تكفينا دليلاً علىٰ براءة إبراهيم ﷺ ولٰكن براءة السماء منهما أولىٰ من براءة إبراهيم ﷺ.. ذٰلك لأن تسميتهما ثم انتسابهما إلى السماء هو من اختلاق اليهود

---

(١) سورة آل عمران: آية (٦٧) .

والنصارىٰ فلم يأمرهم سبحانه وتعالىٰ بأن يكونوا علىٰ ديانتين. وإنّما هم الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما أمروا باتباع دين واحد وهو الإسلام.. قال تعالىٰ :

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾[2] .

ومعنىٰ بغياً بينهم أي بين اليهود والنصارىٰ مما حدث بينهم حتىٰ نتج عنه التخلي عن دين الإسلام وأخذ كل منهم ديناً خاصاً باسمه كما سبق شرحه. وقال تعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة البينة: آية (٤ – ٥) .

(٢) سورة آل عمران: آية (١٩) .

(٣) سورة آل عمران: آية (٨٣) .

وقـــال :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١) .

والآيات التي تدل علىٰ إبطال تعدد الأديان وأن اليهود والنصارىٰ أمروا بأن يكونوا مسلمين حنفاء علىٰ ملة إبراهيم آيات كثيرة في القرآن الكريم .

ومما لا شك فيه إنّ كل مَن آمن بموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام هم مسلمون ديانة ومؤمنون عقيدة ويهود ونصارىٰ نسباً، ثم إنه لن يؤمن أحد بأي نبي إلّا ويكون علىٰ دينه مسلماً لله مؤمناً به ومقتدياً بنبيه فيما يفعل. فإذا كان موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام مسلمَين علىٰ ملة إبراهيم ﷺ كما نعلم ذٰلك علم اليقين بنص كتاب الله الكريم. واليهود والنصارىٰ يدّعون بأنهم علىٰ دين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وفي الوقت نفسه ليسوا بمسلمين؟.. فهل يجوز انتساب ديانتيهما إلى السماء بقولنا « الأديان السماوية ».. لاشك إن الجواب بلا يجوز، إن كل حكم من الأحكام الدينية التي كلف

(١) سورة آل عمران: آية (٨٥) .

الله بها كل نبي هي صادرة من أصل دين واحد باسم الإسلام وليس معنىٰ ذلك إنّ الدين قد تغير اسمه عند كل نبي. ذلك ما سيعرفه كل مسلم متنور إذا ما فكّر فيه. فموسىٰ عليه السلام لم يسم الدين باسم اليهودية ولا عيسىٰ سمّىٰ الدين باسم النصرانية .

وإنّما اليهود والنصارىٰ هم الذين بدّلوا اسم الدين كما بدّلوا أحكام الله التي أنزلت بها التوراة والإنجيل من السماء، وأود أن أشير إلىٰ أن بعض الإخوة من المسلمين يعتقد بأن موسىٰ عليه السلام قد اختار له ديناً باسم الديانة اليهودية مستدلاً بقوله تعالىٰ :

﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾(١) .

فيعتقد البعض أن موسىٰ عليه السلام بقوله **هدنا** قد دخل في دين باسم اليهودية المشتق من كلمة **هدنا** وأنه عليه السلام لن يتخذ الإسلام ديناً وأن كلمة **هدنا** تعني الدخول في دين باسم اليهودية: ذلك ما يظنه البعض من المسلمين .

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٦ .

فنقول لمثل هؤلاء إنّ كلمة **هدنا** تعني تبنا ورجعنا إليك يا الله، أو أن لها معنىً آخر وليس معناها ديانة مستقلة عن الدين الإسلام.. والدليل علىٰ ذلك هو آخر الآية نفسها، فعندما قالها موسىٰ عليه السلام مناجياً ربه قال له سبحانه وتعالىٰ:

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾(١).

أي أنّ الله سبحانه وتعالىٰ قد أمرهم باتباع محمد ﷺ. ليس بعد ظهوره ﷺ بل قبل ذٰلك علىٰ لسان أول رسول من الله لإنقاذهم من قبضة فرعون وهو موسىٰ عليه السلام الذي هو علىٰ ملة أبيه إبراهيم ﷺ وذٰلك في كتاب التوراة قبل نزول الإنجيل بمئآت السنين.. فهل بعد ذلك دليل أيها القاريء الكريم إلَّا إن كان يراودنا شك في بعض آيات الله

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٦ - ١٥٧).

القرآنية والعياذ بالله أو عدم تدبّر وتفهم لمعانيها لا قدر الله؟.. ولا يخفانا بأن في القرآن الكريم آية مقنعة لمن يراوده أي شك في صدق القرآن الكريم بأنه كلام الله، وفي صدق محمد ﷺ بأنه رسول الله، فلا يكذّبها أحد حتىٰ من أهل الكتاب أنفسهم من يهود ونصارىٰ.. إلا بمنطق العناد والجحود والحقد على محمد ﷺ: تلك ا لآية لاتزال تتحدّىٰ كلّ مكذّب برسالة محمد ﷺ وبالقرآن الكريم.. والآية تقول :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١) .

هذه الآية تقول لهم إنه لا يأتي نبي بعد محمد ﷺ إلىٰ يوم القيامة.. فمن المعلوم إنه من بعد إبراهيم ﷺ لم تكد تمضي فترة أقل من خمسين عاماً إلَّا ويرسل الله رسولاً إلىٰ بني إسرائيل.. وفي بعض الفترات يرسل إليهم أكثر من نبي في وقت واحد حتىٰ جاء عهد عيسىٰ عليه السلام فقال لهم إنه لا يأتي نبي من بعدي إلا واحد اسمه أحمد ﷺ وذٰلك ضمن ما أخفوه من التوراة والإنجيل، ثم جاء محمد ﷺ بعد

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٤٠) .

عيسىٰ عليه السلام بستمائة سنة وهي أطول فترة بين نبيين اثنين منذ عهد إبراهيم ﷺ حتى عهد عيسىٰ عليه السلام.. فقال لهم محمد ﷺ إنه لن يأتي نبي من بعدي إلىٰ يوم القيامة.. والآن وقد مضىٰ علىٰ مجيء محمد ﷺ أكثر من ألف وأربعمائة عام لم يأت خلالها نبي بعده ﷺ.. فبما يفسرون ذلك اليهود والنصارىٰ؟. وما رأيهم فيه؟. فهل ذلك دليل قاطع علىٰ صدق القرآن بأنه كلام الله وعلىٰ صدق محمد بأنه رسول الله ﷺ؟. أم أنهم لايزالون في فترة انتظار نبي يرسل إليهم من السماء؟. ونحن نعيد لهم ما جاء به القرآن الكريم ونقول: إنّه لن يأتي نبي بعد محمد ﷺ إلىٰ يوم القيامة فماذا يقولون هم؟.. إنّ محمداً ﷺ يقول للناس كافة وليس لأهل الكتاب بل لكل البشر في الأرض.. إنّ الله لن يرسل رسولاً من بعده.. وإنّه ﷺ رسول من الله إلى الناس كافة وإلى الجن أيضاً. إنّ ذلك يزيدنا إيماناً مع إيماننا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. ويزيدنا تمسكاً بالإسلام ديناً ويزيد أعداء الإسلام كفراً وجحوداً بآيات الله .

ونقول لهم ما قاله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**قل موتوا بغيظكم**﴾. فليموتوا بغيظهم والنار في انتظارهم وسيصلون

سعيراً إلَّا من رحمه الله وتداركته نعمته بالدخول في الإسلام، فالله باقٍ وحي لا يموت وباب الإسلام مفتوح وباب التوبة مفتوح والله يدعو عبيده إلى الإيمان به.. فمن أراد أن يستجيب لله فهو أقرب إليه من حبل الوريد.. فلا يحتاج إلىٰ واسطة بينه وبين ربه. ولا عليه إلَّا أن يقول أسلمت لله ثم يعمل صالحاً.. قال تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1] .

فنحن المسلمون مثلاً: لا حرج علينا ولا إثم إن شاء الله لو قلنا ديانة يهودية أو ديانة نصرانية، فهي في الواقع ديانات اتخذها من اتخذها وصارت شيئاً واقعياً في الوجود باختيار البشر لا بأمرٍ من الله.. وإنّما الحرج والإثم أن ننسبهما إلى السماء ولو من باب المجاملة لأهل الكتاب علىٰ حساب دين الله.. فالمجاملة قد تكون من إنسان لإنسان آخر ولو بغض النظر عن ديانته أو جنسيته فيما يملكه المجامل.. ولكن أن تكون المجاملة بما هو لله وحده فذلك ما لا يجوز بل ويحرم أيضاً ...

والله المستعان ...

---

(١) سورة البقرة: آية (١٨٦) .

الفصل الثالث

التحوّل من النصرانية إلى المسيحية مخادعة لله وللمؤمنين

ثم بعد ذلك أود أن أنبه إلىٰ إننا نقول ونردد القول في هذا العصر بكلمة طاعنة في حق نبي الله المسيح عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام دون أن نتنبه جيداً إلىٰ ما تنطوي عليه تلك الكلمة.. والتي لا تقل شأناً عن كلمة «الأديان السماوية» في مغزاها وهدفها.. فيجب علينا كمسلمين لله مؤمنين به أن نفكّر في معانيها وهدفها.. كما يجب علينا أيضاً أن ندافع عن رسول الله المسيح عليه السلام بقدر المستطاع كدفاعنا عن محمد ﷺ.. ودفاعنا عنه عليه السلام أو عن أي نبي آخر من أنبياء الله هو دفاع عن الإسلام دين الله الواحد.. فالإسلام هو دين كل نبي ورسول دون استثناء.. وهذه الكلمة قد تبدو غير مهمة إذا ما مررنا بها مر الكرام دون تدبّر أو تفكير منا فيما تغزو إليه.. ولكن لو أخذنا عندها وقفة جدية وشغلنا الأذهان للبحث عما تحمله تلك الكلمة من معانٍ لعرفنا ما هو المغزىٰ والهدف من ورائها لأعداء الله ودينه ورسوله محمد ﷺ.. حتىٰ يُفضح أمرهم وتظهر دسائسهم وما يحتالون به للنيل من الإسلام والمسلمين بمخادعتهم لله وللمؤمنين .

فهم لديهم الأساليب الكثيرة من أنواع المكر والخداع كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى :

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] .

تلك الآية تشير بسياقها في القرآن الكريم إلى المنافقين ولٰكن كما قلنا آنفاً بأن الخاص في القرآن عام لكل معنًى قد يوافقه ومعنى الآية ينطبق أيضاً علىٰ كل مخادع للأمة في أمور دينها أو دنياها.. فهم نتيجة مخادعتهم قد حققوا أو كادوا أن يحققوا ما يريدونه من وراء تلك الكلمة. وذلك من جانب المسلمين أنفسهم.. بل وللأسف الشديد إنهم قد اكتسبوا موافقة المسلمين دون استثناء، حيث وهم لم يعيروا لذلك أدنى انتباه من جانبهم نحو أعداء الله والإسلام ولا أقول أن ذلك عدم اهتمام بما يطرأ على الدين من جانب أعدائه.. ولٰكن أقول إنه عدم انتباه من جانبنا إلىٰ ما يدخل من الألفاظ والمسميات على الدين الإسلام .

فالنصارىٰ لم يدّخروا جهداً للإساءة والنيل من الإسلام وأنبياء الإسلام والمسلمين في كل محفل وفي كل بلد ويقولون الكذب والافتراء ويرتكبون أبشع الجرائم وأسخف العبارات

---

(١) سورة البقرة: آية (٩) .

في حق الإسلام والمسلمين وفي حق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ شخصياً.. كما نعلم ذلك. شأنهم كشأن اليهود في الهجوم على الإسلام والمسلمين.. وهنا نقول: إنّ اليهود والنصارىٰ يسبّون الأنبياء والكتب السماوية علناً. فهل يوجد من المسلمين من يسب نبياً واحداً أو يكذّبه أو ينكر أي كتاب أنزِل من السماء؟ حاش لله من ذلك.. إن الله يأمرنا بأن لا نفرِّق بين أحد من رسله وقد التزمنا بذلك ونصلّي ونسلّم عليهم جميعاً كما نصلّي ونسلّم علىٰ محمد ﷺ.. ولم ننكر أي كتاب أنزل من السماء ولو كان منسوخاً أو محرفاً أو مبدلاً مثل التوراة والإنجيل لأنهما على الأقل لايزالان يحملان الاسمين الذَيْن أنزلا بهما من السماء.. ولٰكن من يدّعون انتساب أديانهم إلى السماء يسبّون الأنبياء ثم يشتمونهم وكذلك الكتب السماوية بقولهم:

أن القرآن الكريم هو من تأليف محمد ﷺ وأن محمداً ﷺ يكذب على الله وأن الله لم يرسله إلىٰ آخر ما يقولون: فلو كان لدينا أدنىٰ تصديق لهم فيما يقولونه بأنّ محمداً ﷺ كذا وكذا كما يقولون وأنّ القرآن كرمه الله كما يقولون.. ثم أردنا العناد معهم والإبقاء علىٰ الضلال مثلهم..

لقلنا لهم كما يقولون لنا.. فإن قالوا إنّ محمداً ليس بنبي نقول لهم وموسىٰ ليس بنبي وعيسىٰ ليس بنبي وإن قالوا إن القرآن ليس كلام الله نقول لهم والتوراة والإنجيل ليس كلام الله.. هذا في حالة إننا نشك في كتاب الله ورسول الله ﷺ.. مادام والموضوع بالمعاندة والجحود أو مَن الأقوىٰ في عناده وجحوده.. ولٰكن حاش لله أن نتساوىٰ بهم ونقول ذلك بعد أن عصمنا الله عن السب والتكذيب بكتبه ورسله ثم أمرنا فيما أمرنا بالإيمان به.. بالإيمان بكتبه ورسله.. وأن لا نفرّق بين أحد منهم، كما أمرهم الله بذلك في التوراة والإنجيل ولم يلتزموا به كما التزمنا به.. وبعد هذا كله.. لماذا لا نتكلم نحن أمامهم بالصدق وبالحق دون كذب ولا افتراء؟

وما هو التفسير لسكوتنا عن كل ما نعلمه عنهم وعن إبداء الحقيقة ومواجهتهم بها مادام والقرآن يؤيدنا فيما نقوله حتىٰ نشعرهم على الأقل بأننا لسنا أغبياء كما يظنون ذلك وإننا قد عرفنا عنهم كل شيء.. ثم علمنا بما يهدفون من وراء ذلك.. فما هو التفسير لذلك من جانبنا؟. «واستغفر الله عمّا سأقوله» هل يراودنا شك في أن ما يقولونه هو الباطل؟ حتىٰ لا نستطيع أن نقول عنهم كل ما يقوله القرآن بشأنهم؟ أم أنّ في ذلك

مراعاة لشعورهم حتىٰ لا نجرح أحاسيسهم طيبة واحتراماً من جانبنا لهم؟.. فهم قد جرحوا أحاسيس كل مسلم فيما هو أعلىٰ وأغلىٰ من الأحاسيس والشعور.. فقد جرحوا كل مسلم في دينه وفي شخص نبيه محمد ﷺ.. أم هي مجاملة لهم بما هو لله وحده والذي لا يحق لأحد التصرف به؟.. أم هي الثالثة؟ وأعوذ بالله من الثالثة.. فهي كما يقول المثل ثالثة الأثافي.. تلك الثالثة فلا أظنها تكون من جانبنا والله أعلم.. فنحن الأعزاء بدين الإسلام والأقوياء بسلاح الإيمان بالله مادمنا لا نقول إلا ما يقوله الله في كتابه الكريم.. هٰذه الثالثة هي الخوف من شرهم بقولنا الحق الذي يؤيداه كتاب الله كرّمه الله وسنة رسول الله ﷺ.. وهٰذا طبعاً من المستحيلات ـ أن نتقيد بما يمليه علينا الغير في شئون ديننا الإسلام.. فالمؤمن القوي لا يخاف وهو يعلم إنه علىٰ الحق وإن الله **بجانبه**، ومادام يعرف ذلك فليغضب لله ولدينه.. فأقول: إنه لمن المجاملة بحق نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وبحق الإسلام أيضاً من أجل النصارىٰ دون اليهود.. الموافقــة من جانبنا نحن المسلمين علىٰ تبديل لفظ الديانة النصرانية إلىٰ لفظ الديانة المسيحية.. فتلك التسمية الجديدة لن ينص عليها القرآن

الكريم ولا الأحاديث الشريفة الصحيحة.. لأن ديانة المسيح عليه السلام هي الإسلام الذي جاء به من الله إلىٰ بني إسرائيل اسماً ومعنىً علىٰ ملة إبراهيم ﷺ ولم يرض عليه السلام بأن يُفصَل عن الإسلام، أو أن يكون باسمه دين غير الإسلام، دين الله الواحد.. ولكن النصارىٰ الذين بدّلوا اسم دين الله الإسلام من قبل إلىٰ نصرانية هم الذين بدلوا اسم الديانة النصرانية إلىٰ مسيحية ولهم في ذٰلك مغزىً خبيث.. فلو أخذنا بالبحث عنه بكل جد واهتمام وبصيرة وروية لعرفنا أشياءاً وأشياءاً لم يكن الكثير منا يتصورها أبداً.. أمّا إذا كنا لا نريد الأخذ إلّا بسطحيات الأمور دون **تدبّرها** فإننا لا نستطيع أن نصل إلىٰ ما يجب الوصول إليه.. فالواجب علينا أن نعرف ذٰلك المغزىٰ وبإمعان وبدون تسرّع في الفهم .

إذ ليس هدفهم من وراء ذلك موضة أسماء أو تغيير أسماء في قرنهم العشرين.. وإنّما الهدف أبعد من ذلك وأعمق بل وأخطر إلىٰ غاية الخطورة.. فإذا ما أمعن القاريء فكره وانتباهه في البحث عنه فإنه سيعرف ما يقصدونه من وراء ذلك إن شاء الله تعالىٰ.. وعندها يحكّم نفسه فيما يجب عليه نحو ذلك من إقرار به أو إنكار له.. فهدفهم هو :

أولاً: أن يظن المسلم المؤمن بالله وبالمسيح عليه السلام أنّ النصارىٰ حقاً تابعون لرسول الله المسيح عليه السلام وأنهم علىٰ نهجه الذي جاء به من عند الله و لم يغيّروا في الدين شيئاً إلّا: إن الاسم للديانة صار قديماً فيجب تجديده وذلك بتغييره من نصرانية إلىٰ مسيحيه. ذلك هو جزء من مخادعتهم للمسلمين حتىٰ إذا ما دَعوا أحداً إلى التنصير يلقون آذاناً صاغية لهم مستجيبة لدعوتهم للدخول في دين باسم المسيح.. مادام ودينهم ا لجديد باسم رسول من أولي العزم من الرسل وله مكانته في قلب كل مسلم لا تقل ولا تختلف عن مكانة محمد ﷺ.. فكلاهما صلوات الله وسلامه عليهما من أولي العزم من الرسل.. لهذا وحسب اعتقادهم أنها ستطمئن نفس المدعو من قِبلهم إلىٰ ذلك الدين الذي لا يحمل اسم النصرانية المكروه الممقوت في كتاب الله.. وأن المدعو سيعتقد بأن ذٰلك حق أمر الله به.. وذلك إيهاماً منهم لضعيفي النفوس والإيمان بالله علىٰ أنهم تركوا ديناً باطلاً كان باسم النصرانية واتخذوا بدلاً عنه ديناً حقاً باسم المسيح عليه السلام.. فإذا كان المدعو جاهلاً بحقيقتهم لا يعرف ما هم عليه من الباطل أو ضعيف إيمان بالله فقد يجيبهم إلىٰ ما دعوه إليه ويفعل ما يفعلونه من

الفحشاء والمنكر والبغي ظاناً بجهله أنّ المسيح عليه السلام قد فعل سابقاً ما يفعلونه اليوم وأنه قدوتهم في ذلك الكفر والشرك بالله.. فيقارن بين قدوة المسلمين محمد ﷺ الذي يقتدي به كل مسلم ويحاول تطبيق فعله ﷺ بقدر المستطاع.. وبين اقتداء النصارىٰ بالمسيح ﷺ.. فيعتقد بجهله أن شأن النصارىٰ مع عيسىٰ عليه السلام كشأن المسلمين مع محمد ﷺ.. وأنهم علىٰ حق فيما يفعلونه.. أعز الله المسيح ونزهه عنهم وعمّا يفعلون .

ثانيــاً: إنهم لو دعوا أحداً إلىٰ دين باسم النصرانية كما هو معروف من قبل فقد ينفر ويشمئز من يحاولون تنصيره باسم دين النصرانية.. لاسيّما إذا كان يعرف النصرانية ومعناها.. وما عرفت به بين الناس قديماً وحديثاً وما هي عليه من أعمال لا ترضي المسيح ولا رب المسيح ولا من يؤمن بالمسيح.. ولٰكنهم يأخذون الناس غرّة ومكراً ومخادعة باسم المسيح ابن الله كما يفترون عليه.. عليه السلام.. فاسم الديانة النصرانية عندهم قد انتهىٰ ثم انشطب من القاموس وأحرقت أو دفنت كتبه المقدسة باسم النصرانية ثم استبدلت بكتب جديدة باسم الديانة الجديدة «المسيحية». ولا يصعب عليهم تغيير وتبديل

الكتب المقدسة الموجودة لديهم لأنها من تأليفهم وتأليف أسلافهم والاسم كما أنزل من السماء «الإنجيل» وذلك هو الوحيد الذي لا يستطيعون **تبديله**.. فكل ما فيها لا يمت بصلة إلى السماء غير اسم **«الإنجيل»** فلا يصعب عليهم تغييرها وتبديلها ولو في كل عام مرتين حسب أهوائهم وما يرونه مناسباً لهم عند الضرورة.. وهذه التسمية الجديدة أو التحوّل إن صح التعبير من النصرانية إلى الاسم الجديد «المسيحية» لا يتجاوز عمرها قرناً من الزمان أو أكثر قليلاً أو أقل لا يهمنا ذلك في شيء.. فالذي يهمنا هو إنها لم تكن تعرف من قبل عند عامة البشر وخاصتهم إلّا باسم النصرانية أو الصليبية كما وصفوا بعد ذلك.. وقد تكون الموافقة على اسم الديانة الجديدة من جانب المسلمين هي من باب المجاملة السياسية أكثر منها دينية، ولا فرق بين المجاملتين إذا كان المجامل يعرف المعنى لذلك حق المعرفة وما يترتب عليه، ويعرف ما يقصدون من ورائه من تشويه بسمعة سيدنا المسيح عليه السلام.. فإن كان كذلك.. فقد جاملهم بما ليس من حقه أن يجامل به كمسلم لله مؤمن به وبرسله جميعاً.. وبه يكون مناصراً لهم باتهام المسيح عليه السلام بما يفعلونه من أراذل الأعمال.. وبه

أيضاً يكون قد اتهم المسيح عليه السلام بالفصل عن الإسلام الذي يدين به عليه السلام. بل فقد حكم عليه بذلك .

أمّا إذا كان لا يعلم عن ذلك شيئاً فتلك مصيبة كما قال الشاعر:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فالواجب على الإنسان أن يعرف كل ما يستطيع معرفته عن دينه ويسأل عن دينه ولو اتهم بالجنون.. فإذا كانت المجاملة سياسية من أجل أناس يفصلون بين الدين والدولة.. فإن دين الإسلام لا يأمرنا بفصلها عنه أبداً.. لأن دين الإسلام جامع لكل شئون حياة المسلم السياسية منها والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والسلوكية والأخلاقية بل وكل حركة في حياة المسلم يجب أن تكون في إطار الدين الإسلام وتعاليمه حتى حركة سمعه وبصره وحركة صوته ومشيته جاء الأمر والنهي فيها قال الله تعالى :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(١).

---

(١) سورة النساء: آية (١٤٠) .

أي إننا بمجرد القعود معهم ولو بدون كلام منا نكون نحن وهم سواء في الكفر والاستهزاء بآيات الله فكيف إذا وافقناهم وقلنا مثل قولهم في أي موضوع ديني يمس بالدين أو يمس بكرامة أي نبي من أنبياء الإسلام: انظر كيف يحاسب الله الإنسان علىٰ سمعه وعمل سمعه فكيف بباقي الأعضاء من الإنسان؟ وقال جل شأنه في البصر :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾(١) .

ذلك جاء في شأن حاستين من حواس الإنسان لا بطش لهما ولا تأثير ولا ضرر علىٰ أحد.. وهما السمع والبصر وقال تعالىٰ:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(٢) .

---

(١) سورة النور: آية (٣٠) .

(٢) سورة لقمان: آية (١٨ - ١٩) .

فإذا كانت كل حركة للإنسان المسلم مادية أو معنوية أو قولية أو فعلية يجب أن تكون في إطار الدين؟ فما بالنا بالسياسة التي يفصلونها عن دينهم والتي تضم في طياتها الكثير من أحكام دستور الإسلام.. وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الأمور السياسية والعسكرية وغيرها من شئون دولة الإسلام مما يؤكد للمسلم المؤمن عدم فصلها عن دينه وإيمانه.. ففصل الدين عن السياسة أو الدين عن الدولة في الإسلام هو إخلال بسلامة الدين عند من يدين به.. فلا يعتبر تدّينه كاملاً بفصل أي شأن من شئون الحياة عنه مهما يكن ذلك الشأن صغيراً في نظر المتدين بالإسلام.. كيف لا وقد أمر الله بأن يكون فعل السمع والبصر والصوت في إطار أحكام الإسلام.. فما نسبة السياسة إلى الدين بأقل من نسبة السمع والبصر فكل مسلم علىٰ ثغرة من ثغرات الإسلام كما جاء في معنىٰ الحديث فإذا ما انزاح عنها دخل منها أعداءُ الإسلام محتجين على الإسلام ذاته بفعل من يدين به ثم يتخذون مِن فِعل المسلم إذا كان مخطئاً ذريعة وحجة على الإسلام نفسه دون لفت النظر إلىٰ ما جاء به الإسلام وأمر به.. فلو أن المسلم حافظ على الثغرة التي هو عليها من الإسلام لما تجرأ أعداءُ الإسلام أن يتشدقوا أو يتملقوا

على الإسلام ثم يقولون إنّ الإسلام جاء بكذا وكذا و لم يقولوا إنّ المسلم فعل كذا ودينه يأمره بكذا.. ولكنهم يجعلون الخطأ على الدين نفسه دون أي نظرة إلىٰ ما جاء به الدين نفسه. تعمداً منهم بذٰلك رغم علمهم به. فمن الواجب والمفروض علىٰ كل مسلم أن يحافظ علىٰ مكانته في الدين حتىٰ يخرس أعداءه.. ومع ذٰلك فإن الدين الإسلام لم يحرّم التعامل مع غير المسلمين بل بالعكس.. فقد تصالح رسول الله ﷺ بنفسه مع المشركين من أجل مصلحة الدين الإسلام.. ثم مع أهل الكتاب أيضاً.. فدين الإسلام لن يحرّم ذلك على المسلم سواء كانت المعاملة أو المجاملة للمصلحة أو لتبادل الاحترام بشرط أن يكون «تبادل احترام لا مودة فيه إليهم» لأن المودة إليهم كفر وارتداد عن الدين والعياذ بالله. ولٰكن أن يكون ذٰلك بعيداً عما يمس بالدين الإسلام فلا بأس به. فمن ألقىٰ بالمودة إلى الكافرين بقلبه فليس له نصيب في الإيمان بالله.. قال تعالىٰ:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾(١).

---

(١) سورة المجادلة: آية (٢٢).

فكل شيء يكون لمصلحة الإنسان المسلم علىٰ حساب دينه فهو حرام بل وشرك بالله وكفر به.. ولذلك يحذرنا الله سبحانه وتعالىٰ من أن نلقي إليهم بالمودة. فإذا كان المجامل لا يعلم بحقيقة مايقصدونه من وراء ذلك فقد يكون له عذر أو بعض عذر عند الله أو لا عذر له.. أمّا إذا كان يعلم ذلك علم اليقين «وهو كذلك» ويريد إرضاءهم بالمجاملة علىٰ حساب دين الإسلام وأنبياء الإسلام وأمة الإسلام فحسابه على الله يوم تبلىٰ السرائر.. ولكن ليعلم إن كان غافلاً أو متغافلاً أو لاهياً بالحياة الدنيا أو مغروراً بها فإن الله سبحانه وتعالى سيسأله يوم لا تخفىٰ عليه خافية عن كل كبيرة وصغيرة.. وإن طال عمره في هذه الدنيا فإنه لا يتجاوز المائة عام وما أقلها لو نعتبر.. فيكون بعدها بجوار ربه فيسأله عن عمله.. قال تعالىٰ :

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(١) .

---

(١) سورة المؤمنون: آية (١١٢ – ١١٤) .

فما أقلها لو نعتبر وما أقصر العمر لو نقيسه بالزمن.. فعلىٰ المؤمن الكيّس الحذر أن يستعد للإجابة بين يدي الله جل جلاله قبل فوات الأوان وحلول الندم في مكان لا مرجع منه لتصحيح الخطأ في الأعمال.

ولنعلم أيضاً بأنه لا يجوز لنا أن ننسب الديانة النصرانية إلىٰ رسول الله المسيح ﷺ بقولنا المسيحيون أو المسيحي أو الديانة المسيحية لأننا سَنُسأل أمام الله عن ذلك.. نعم سنُسأل أمام الله لأن الله عنده كتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلّا أحصاها.. كيف لا؟ وهو يحصي أوراق الشجر الساقطة علىٰ الأرض.. اليابسة منها والخضراء وأين مثقال الذرة التي يحاسَب عليها الإنسان بما يقترفه من الذنوب والخطايا قال تعالى:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(١).

وقـال تعالى:

(١) سورة الكهف: آية (٤٩).

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ
إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

وقــال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[2] .

فإذا أردنا الإخلاص لله كاملاً فإن من واجبات ذلك أن نصفهم بما عرفوا به من قبل وقاله القرآن فيهم: وهو.. النصارىٰ أو النصراني أو الديانة النصرانية لا المسيحية كما يدّعون.. فهم نصارىٰ كما أسموا أنفسهم حينما انسخلوا من دين الله الذي ولد عليه كل فرد منهم وجاءهم به المسيح عليه السلام من عند الله ودعاهم إليه.. ثم صليبيون كما وصفوا بعد ذلك.. وليسوا بمسيحيين كما يدّعون اليوم.. إنّ القرآن الكريم لم يصفهم باسم المسيحيين و لم يصفهم رسول الله ﷺ بذلك أبداً.. ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ لم يقل في أي حديث

(١) سورة الأنعام: آية (٥٩) .

(٢) سورة الزلزلة: آية (٧ – ٨) .

صحيح كلمة مسيحي أو مسيحيين أو الديانة المسيحية، لأنه ﷺ يعلم بكل كلمة ينطق بها ويعرف ما تعنيه قبل أن يتلفّظ بها لأنه لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ.. ثم إنهم أي النصارىٰ في عهد رسول الله ﷺ لم تخطر لهم علىٰ بال تلك الصفة لدينهم إلّا بعد أن تزايد الكره والاشمئزاز في نفوس الناس تجاه اسم النصرانية كديانة، بسبب ما وصفت به من أعمال رذيلة وانحطاط.. فاتخذوا اسم المسيحية تستراً علىٰ ما يرتكبونه.. فرسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم كانوا يقولون نصراني أو نصارىٰ أو الديانة النصرانية وفي القرآن الكريم: ﴿ **الذين قالوا إنا نصارىٰ** ﴾، ﴿ **وقالت النصارى** ﴾، فلم يوصفوا بالمسيحيين أبداً لا في القرآن الكريم ولا في أي حديث صحيح.. ونحن هنا لا نتهجم علىٰ من اتخذ له ديناً ورضي به ثم لزم حده ومارس شعائره دون تعَدٍ علىٰ دين الله الحق الإسلام وأنبيائه أو على المسلمين.. ولٰكن إذا حدث منه ما يسيء إلىٰ دين الله وإلىٰ رسوله ﷺ أو يسيء إلىٰ أي نبي من أنبياء الإسلام فإن ديننا يفرض علينا فرضاً الدفاع عنه بما نستطيع الدفاع به.. وأهل الكتاب من يهود ونصارىٰ لم يقفوا عند حَدٍ بل يهاجمون الإسلام

والمسلمين ورسول الإسلام محمد ﷺ بكل ما يستطيعون، ولم يدّخروا وسعاً ولا جهداً ولا وسيلة ولا مكراً ولا حيلة ولا مخادعة في سبيل هدم الإسلام إلا وعملوا بها.. وبهذا فإنه يحق لنا أن نواجه المخادعة بالصراحة والمكر بالمواجهة والكذب بالصدق والباطل بالحق دون كذب ولا افتراء ولا بهتان.

فالله سبحانه وتعالىٰ يقول:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾(١).

هٰكذا يأمرنا ديننا الحنيف ويعلّمنا كيف نتعامل حتىٰ مع أعدائه.. ولٰكن الحمد لله الذي لم يقف بنا في الآية عند قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **إلا بالتي هي أحسن** ﴾ لٰكنه جلّت حكمته وبعلمه الأزلي لم يقيّدنا بذلك إذا ما افتريٰ علينا بالظلم فقال: ﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ فأباح لنا المعاملة بالمثل إذا ما ظُلمنا. ومن الظلم العظيم إنهم لم يخلّوا سبيل المسلمين في أرض الله بل يسعون حثيثاً ويحرضون غيرهم على الاستفزاز بالمسلمين من أجل تنصير المسلم وخروجه عن دينه.. وقد يستعمل ضده العنف في بعض البلدان حتىٰ من غير أهل

(١) سورة العنكبوت: آية (٤٦).

الكتاب بسبب تحريض أهل الكتاب علىٰ ذلك من أجل تخلي المسلم عن دينه وعقيدته إلىٰ حد التخلي عن اسمه الإسلامي كراهة للإسلام ومن يدين به.. وأكثر من ذٰلك كله فهم متعهدون بحماية كل من يتهجم على الدين الإسلام وعلىٰ رسول الإسلام محمد ﷺ شخصياً بأبشع الألفاظ وأسخف العبارات ولهم في ذلك مآرب محمومة لتصديق ما يقولونه عن الإسلام والمسلمين.. فالحماية من جانب اليهود والنصارىٰ لمثل هؤلاء السخفاء هي بحجة حماية حرية الرأي.. ولا يهم إن كان ذلك الرأي يطعن أو يهين كرامة دين حقاً سماوي أو نبي مرسل أو مشاعر أمة لها كرامة وعزة بدينها ونبيها محمد ﷺ.. فلا تفريق عندهم ولا تمييز بين حماية من يقول حقاً ومن يقول باطلاً.. إذا كان ذلك يخدم غرضهم ويؤيد كذبهم على الله وعلىٰ رسله وبالأخص إذا كان ذلك الرأي المهين السخيف موجهاً إلىٰ خير أمة أخرجت للناس وإلىٰ دين سماوي حقاً ورسول جاء بآخر رسالة سماوية إلى الناس جميعاً هو محمد ﷺ .

فحماية حرية الرأي في مثل تلك الإهانات هي في نظرهم فرض وواجب عليهم ولو أدّىٰ ذٰلك إلى إلحاق الضرر

بالحكومة أو الشعب. فذلك في نظرهم عمل مقدس تجب التضحية من أجله.. فالرأي لهم حر وحمايته واجبة عليهم.. والرأي للمسلمين مقيّد لا حرية له ولا حماية.. وكلمة حق نقولها لأنفسنا حتىٰ لا نظلم عدونا.. إنهم «أي أعداء الإسلام والمسلمين» لم يفرضوا علينا قيد حرية الرأي.. ولكننا نحن الذين نفرضه علىٰ أنفسنا، وحجتنا في ذلك على أنفسنا هي :

إنه يجب على المسلمين أن يتصفوا بالحكمة والحلم والروية والمعاملة الحسنة للغير. ثم نقول لأنفسنا أيضاً: إنه لمن الصحيح إن من يتمتع بتلك الصفات الحميدة يكون محسوداً عليها، ثم إنّ ديننا يأمرنا باتباعها ويحثنا على التمسك بها.. فهي بلا شك أفضل الأخلاق للمسلم.. ولٰكن الله العليم الحكيم لا يريدها لنا رتابة مرتبة أو فرضاً مفروضاً علينا لا نتزحزح عنه إذا ما دعت الضرورة إلى التخلي عن بعضها أو كلها مؤقتاً إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك.. إذ أن الإفراط في التمسك بها قد تكون له عكسيات سلبية.. فتحوّل الحلم في نظر الأحمق إلىٰ ذل، وتحوّل الحكمة في نظر المراهق المتهور في طباعه إلىٰ خوف وبلاده، وتحوّل المعاملة الحسنة في نظر المستكبر في نفسه إلىٰ تعظيم وإكبار من أجله، حتىٰ يظن الطامع بمن يحمل

تلك الصفات الحميدة بأنه لا يستطيع الحصول على حقه في التعبير نحو دينه وأمته وأنه مقيد بها وإن ظُلِم.. هذا ما يرونه أعداءُ الإسلام تجاه المسلمين المتحلّين بتلك الصفات الفاضلة التي يأمرهم بها دينهم الحنيف.. فيجب علينا التمييز بين مواقع الشدة والحزم وبين مواقع اللّين مع الأخذ بالحذر وعدم الركن المفرط تجاه كل عدو لا يرقب إلًّا ولا ذمة فيما يقول.. فنحن نتعامل مع أناس مخادعين بالصراحة ونتعامل مع أناس كاذبين بالصدق وديننا يحرّم علينا قول الكذب.. فهم لمّا رأوا إنّ الدعوة باسم النصرانية لا تستجاب غيروا اسمها من نصرانية إلىٰ مسيحية.. باسم المسيح ابن الله كما يفترون عليه عليه السلام.. من أجل الترغيب فيها.. كذلك غيروا اسم أو صفة التنصير إلى التبشير بالمسيحية.. فديننا يفرض علينا مواجهتهم في ذلك وكشف حقائقهم والدفاع عن أي نبي يتهم بما ليس فيه أو بما لا يليق به أو بوضعه البشري من جانب الكفار والمشركين من أهل الكتاب وغيرهم وأن لا نفرّق بين نبي ونبي في ذلك.. فالأنبياء مؤمنون مسلمون وكلّهم أخ لمحمد ﷺ.. قال تعالى :

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ

﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(١) .

وقـــال:

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٢) .

فالقرآن الكريم صريح وبلسان فصيح ولم ينسب الديانة النصرانية إلى المسيح عليه السلام وإنما نسب المسيح عليه السلام إلىٰ دين الإسلام ونحن نعلم ذلك علم اليقين.. ولٰكن قد يظن المسلم الجاهل بتلك الأمور بأن المسيح عليه السلام كان يفعل ما يفعله النصارىٰ اليوم من الفحشاء والمنكر والبغي.. لأن النصارىٰ يدّعون بذلك بهتاناً وزوراً بأنهم يفعلون ما كان يفعله عليه السلام وإنه القدوة الحسنة لهم في المنكر والبغي كما يدّعون عليه كذباً وافتراءاً .

وحاشاه عليه السلام ونزهه الله من كل ذٰلك.. فالكذب لهم سجية على المسيح وأمه عليهما السلام.. فلا حياة هنيئة

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٥) .

(٢) سورة آل عمران: آية (٨٤) .

لهم إذا لم يمتعوا أنفسهم بالكذب والافتراء على المسيح عليه السلام.. فالكذب على المسيح من جانبهم ليس مفاجأة منهم في غيابه عنهم، فقد كذبوا عليه من قبل وهو بينهم قبل أن يرفعه الله إليه، فكان عليه السلام ينهاهم ويدافع عن نفسه ويتبرأ منهم أمام الله بعد رفعه إليه.. قال تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١).

فإذا كان عليه السلام يدافع عن نفسه عمّا جرىٰ منهم في وجوده بينهم فمن يدافع عنه بعد الله ثم بعد غيابه عن الأرض؟ أليس من الواجب على كل مسلم أن يدافع عنه في غيابه بما يستطيع؟.. إنه لحقاً: إن الله سبحانه وتعالىٰ هو المدافع

---

(١) سورة المائدة: آية (١١٦ - ١١٧).

عنه عليه السلام وعن المؤمنين كافة وهو الشهيد له علىٰ قومه وكفىٰ بالله شهيداً قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾(١) .

فليس المسيح عليه السلام بحاجة ماسّة إلىٰ من يدافع عنه لٰكن الله سبحانه وتعالىٰ ترك الدفاع عنه في الدنيا للإنسان المسلم لينال بـه رضا الله ويثاب عليه.. فعيسىٰ عليه السلام لم يأمرهم بفحشاء ولا منكر ولا بغي وإنّما أمرهم عليه السلام بما أمره الله به.. ثم أمرهم باتباع النبي الخاتم محمد ﷺ الذي بشرهم به كما قال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ ﴾(٢) .

فهو عليه السلام بشّرهم بظهور محمد ﷺ وأمرهم باتباعه كما بشّر به موسىٰ عليه السلام من قبل في التوراة ثم أمرهم

(١) سورة الحج: آية (٣٨) .

(٢) سورة الصف: آية (٦) .

باتباعه أيضاً... ومما لا شك فيه أن الكثير من المسلمين يعرفون إنّ المسيح عليه السلام بريء من اليهود والنصارىٰ ومما يدينون به وإنه عليه السلام مسلم علىٰ ملة إبراهيم ﷺ.. ولٰكن الخطر يكمن في المسلم الجاهل الأمي.. فقد تكون له نظرة خاطئة نحو المسيح عليه السلام ويظن به الظنون عن جهل حيث إنه يرىٰ ويسمع بأعمال لا ترضي الله ورسوله ﷺ ولا ترضي حتى البشر من غير المؤمنين بالله.. التي تصدر ممن يدّعون الانتساب إلى المسيح عليه السلام، أعزه الله ونزهه منهم.. وكما سبق شرحه فإنه يجب على الإنسان المنصف إذا ما تحدث عن مساويء الغير أن يتحدث عن محاسنهم.. فأحب أن أقول إشارة إلىٰ وجود خصلة في النصارىٰ تميّزهم عن اليهود بالنسبة لمعاملتهم مع الغير.. فهم يختلفون عن اليهود من حيث التظاهر بالمودة واللّين من جانبهم لمن يتعاملون معه.. أو بمعنىً آخر فهم يلبسون جلد الحية الناعم الأملس في معاملتهم حتىٰ مع المسلمين، وذلك بعكس اليهود القاسية قلوبهم الخشن ملمسهم.. ثم إنهم «أي النصارى» يودون لغيرهم ما يودونه لأنفسهم ليكون غيرهم مساوياً لهم في الخير أو الشر «والخير بعيد عنهم» في ذلك .

قـــال تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾(١) .

فالنصارىٰ يدعون الناس إلى الدخول في دينهم ربما إن بعض الدعاة السطحيين منهم قد يظنوا أنهم علىٰ حق فلا يحسدون الناس أو علىٰ باطل فلا يرحمونهم.. ليكونوا وهم سواء في جنة أو نار.. وذلك بعكس اليهود الذين لا يحبون الخير الذي يعدهم ويمنيهم به الشيطان لأحد من الناس.. فلم يدعوا إلىٰ دينهم أحداً.. حسداً منهم وبخلاً لكي لا يشاركهم المدعو في سكن الجنة علىٰ حد زعمهم.. .

كما قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾(٢) .

من أجل ذلك لم يبدّلوا اسم الديانة اليهودية إلى اسم الديانة الاسرائيلية أو الموسوية مثلاً كما فعل النصارىٰ، و لم يدعوا إلىٰ

---

(١) سورة البقرة: آية (١٠٩) .

(٢) سورة البقرة: آية (١١١) .

دينهم أحداً إلّا نادراً ما يحدث ذلك إضافة إلى اشتهارهم بالبخل وعدم السخاء بالمال لمن يدعونه إلىٰ دينهم.. أمّا النصارىٰ فإنهم يختلفون عنهم تماماً بالأخلاق والكرم فهم يعملون جاهدين من أجل دعوتهم إلى التنصير ومن أبرز اجتهادهم تبديل اسم ديانتهم من حين إلىٰ حين.. فهم اليوم في الرابع من الأسماء لدينهم.. فالأول هو الإسلام الذين ولدوا عليه وولد عليه كل فرد من البشر وهو دين الفطرة الذي جاء به إليهم المسيح عليه السلام فانسلخوا منه.. والثاني النصرانية والثالث الصليبية والرابع والجديد المسيحية.. وهذا هو موديل قرنهم العشرين.. والعلم عند الله ماذا سيحدث بعد ذلك، وهل لديهم اسم آخر لدينهم باسم عيسىٰ أو مريم مثلاً؟.. ومن اجتهاداتهم كما أسلفنا اللّين والمظهر الحسن.. فهم يرحبون بمن يستجيب لدعوتهم للدخول في دينهم ويظهرون له الود والتكريم ثم يغرونه بالمال وبما لا يتسع له المجال ولا يليق ذكره هنا مما يندىٰ له الجبين ويميل إليه الشباب الطائش وصغار السن ترغيباً في الاستجابة للتنصير.. ثم إنهم يتتبعون ثغرات الفقر والجهل والمرض حيث تكون دعوتهم صائدة للإجابة كرهاً، رغبة فيما يقدمونه للمحتاجين **الفقراء**

والمرضىٰ من أبناء المسلمين وغيرهم ثمناً لتنصيرهم.. وأحدث اجتهاد لهم ومؤامرة قاموا بها لمحاولة ردّ المسلمين عن دينهم هو مؤتمر وحدة الأديان الذي عقدوة في سيناء مؤخراً ويضم يهوداً ونصارىٰ ومسلمين.. ثم اقترحوا إقامة الصلوات على الطريقة اليهودية والنصرانية.. ثم طلبوا من المسلمين المشاركين في ذٰلك المؤتمر أن يشاركوهم في طقوسهم عند جبل موسىٰ عليه السلام في سيناء وأن لا يسمح للمسلمين برفع الأذان بصوت عالٍ ولا بإقامة الصلاة علناً في ذلك المؤتمر إلَّا بما يرونه مناسباً لذلك الموقف الذي نظموه هم بدعوىٰ إنّ ذٰلك المؤتمر عُقد من أجل تآلف القلوب على المحبة **والمودة** والدعاء إلى الله بإحلال السلام في المنطقة .

« يا لها من مهازل تمر على المسلمين دون حماس ولا حمية ولا غيرة لله ولدينه ».. فهل من غيور علىٰ دينه ولو بالإمساك عن الكلام الذي يمس بدين الله وبأنبيائه.؟ فإذا كنّا لا نستطيع أن نقوم بغير ذلك لضعف فينا أو تراخٍ منا نتيجة تخلينا عن مباديء الإسلام، فعلىٰ الأقل نستطيع التمسك بأضعف الإيمان وهو السكوت وعدم التلفظ بما ليس من الدين في شيء.. ومن ذلك.. عبارة «الأديان السماوية» وعبارة «الأديان المسيحية»

وأظن أنه من الممكن باستطاعة كل منا فعل ذلك دون أدنى جهد يبذل من أجله أو غرامة مالية لينال رضى الله سبحانه وتعالىٰ ورضا رسوله ﷺ. إن مؤتمر الأديان هو أحدث مخادعة لله وللمؤمنين من جانب أعداء الله ورسله .

فالله سبحانه وتعالىٰ ينهانا ويحذرنا عن إلقاء **المودة** إليهم: وها نحن نشاركهم في طقوسهم ولا يشاركوننا في صلاتنا. نشاركهم بقصد **المودة** والتآلف بين القلوب. وبما أن الله ينهىٰ عن ذلك ويصف فاعله بعدم الإيمان.. فبما سيجيب المشتركون معهم من المسلمين يوم القيامة؟ فإن كانوا مسلمين حقاً فلاشك إنهم يعلمون بأن المشاركة محرمة عليهم من أجل ذلك.. فكيف يلقون بأنفسهم إلى التهلكة والتعرض لغضب الله؟ وهم يعلمون بأنهم سيسْألون أمام الله. كما إنهم يقرءون قوله تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[1] .

فما هو المبرر لذلك أمام الله سبحانه وتعالىٰ يوم سيسألهم

---

(١) سورة المجادلة: آية (٢٢) .

ماذا فعلوا وماذا قالوا عن الإسلام في ذلك المؤتمر؟.. وما هدفهم من ذلك المؤتمر الذي يدعو إلى المودة بين المسلم والمشرك وبين المؤمن والكافر.. هل قالوا للمؤتمرين بما قاله القرآن في شأنهم؟ هل قالوا إنّ دين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام هو دين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام؟ وإنه الإسلام؟.. هل قالوا إن المسيح عليه السلام رسول الله إلىٰ بني إسرائيل وليس ابنه كما يقولون؟ هل قالوا إنّ الدين عند الله الإسلام؟ أم قالوا إنها أديان سماوية بالجملة؟ لا أدري فالجواب عند من حضر المؤتمر فليسألوا أنفسهم قبل أن يسألهم الله سبحانه وتعالىٰ.. وليتداركوا أنفسهم بالتوبة إلى الله ليغفر لهم ما فرطوا فيه.. تلك نصيحة لهم.. «والدين النصيحة».. فمن عنده أدنى شك فيما يقوله أعداءُ الله عن الإسلام وعن رسول الإسلام ﷺ وعن المسلمين فليداوم على المطالعة في الصحف والمجلات الإسلامية ليرىٰ ويقرأ ما تنشره ألسنة وأقلام أعداء الله والإسلام والمسلمين.. مما تتفطر له القلوب وتقشعر له الجلود وتتصدع منه الجبال من الطعن في كتاب الله بأنه كلام البشر والشياطين، والطعن في شخص رسول الله ﷺ بأنه كذا وكذا نزهه الله عن قولهم..

وكافأهم الله بأعمالهم.. مما يجعل البليد غيوراً علىٰ دينه والجبان شجاعاً والأخرس ينطق من شدة الغيظ فيتكلم **ففي هذه** الصحف والمجلات الإسلامية ما سيقنعه إن شاء الله .

أخي القاريء الكريم إنني لأرجو الله العلي القدير أن تكون قد أدركت ووعيت كلّ ما يعنيه محتوىٰ هذا الكتاب وأن تكون أيضاً مقتنعاً بما فيه وأن تحمد الله الذي جعلك من أمة الإسلام وأنقذك به من الشرك والكفر والضلال وسوء المصير .

لقد فضّل الله من اتخذ الإسلام ديناً في الدنيا والآخرة علىٰ سائر الثقلين وأعطاه الله ميزة عن سائر الأمم. ففي هذه الدنيا يعيش المسلم مطمئن القلب حسن الخلق رحب الصدر إن اتسعت له شكر وإن ضاقت عليه صبر.. فلا تهزه نوائب الدهر مهما كبرت لأنه يقول كل يوم.. الله أكبر.. فمع كلمة الله أكبر يرىٰ كل أمر أصغر.. ثم لأنه مؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالىٰ وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه.. ثم يكون علىٰ يقين بعد إرادة الله له .

بأن ما فاته في هذه الدنيا من سعادة وخير وصحة ووالد

وولد لم يفته عند الله في الجنة إن شاء الله.. وأنه سيلتقى عند الله بكل محبوب وكل حبيب له فاته في الدنيا.. وذلك إن آمن وصبر واحتسب كلما أجراه عليه القدر بأمر الله.. وإنه يرجو من الله ما لا يرجوه غير المسلم، وأن رجاءه في الله هو رضاه والجنة وذلك هو الفوز العظيم.. أمّا غير المسلم من مشرك وكافر وملحد فحياته قلق في قلق في قلق.. فإن ضاقت عليه الدنيا انتحر.. وإن اتسعت له بطر.. لأنه لن يؤمن إلَّا بما ناله في هذه الدنيا من خير ولم يطمع فيما عند الله للمؤمن في الآخرة ومصيره في الآخرة النار وذلك هو الخسران المبين.. فدين الإسلام هو الدين الإلٰهي الأوحد للملائكة والجن والإنس والدواب والطير والحشرات والنباتات والجماد وكل كائن في الوجود في الأرض وفي السماء أو من وراء ذلك.. فكل شيء يدين لله بالإسلام.. ذلك ما توضحه لنا الآيات القرآنية التالية في قوله تعالىٰ:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٨٣).

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[1] .

وقــوله :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾[2] .

وقــوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾[3] .

وقــوله :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة الرعد: آية (١٣) .

(٢) سورة الرعد: آية (١٥) .

(٣) سورة الحج: آية (١٨) .

(٤) سورة النحل: آية (٤٩) .

وقـــوله :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾(١) .

وقـــوله :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(٢) .

وقـــوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾(٣) .

وقـــوله :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٧٩) .

(٢) سورة الإسراء: آية (٤٤) .

(٣) سورة النور: آية (٤١) .

(٤) سورة الأنعام: آية (٣٨) .

تلك الأشياء المذكورة في الآيات السابقة وغيرهامما لا نعلمه.. الله يعلمه.. كلها تدين لله بدين الإسلام تسجد وتسبح وتصلّي كل منها قد عرف كيف يصلّي وكيف يسجد لله بالكيفية التي خلقه الله عليها.. وهي أمم أمثالنا وكل منها وهبه الله ما يناسبه من العقل والمعرفة بالله والهداية لتصريف شئونه..

﴿ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (١).

قال تعالى :

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (٢) .

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **كل شيء** ﴾ فلن يستثن شيئاً واحداً من الأشياء في الوجود لم يعطه خلقه وهدايته لحركة العبادة لله وحده، والهداية نوعان: هداية دلالة وهداية طاعة.. والهداية هنا في الآية الكريمة لكل شيء دون استثنىٰ هي هداية الدلالة.. أي أن الله خلق كل شيء ثم أدله إلىٰ فعل الخير والشر.. قال تعالى :

---

(١) سورة الأنعام: آية (٣٨) .

(٢) سورة طه: آية (٥٠) .

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[1] .

وقـــال :

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[2] .

فكل هذه الأشياء علمت بما يريده الله من خلقه لها.. كل هذه الأشياء دانت لله بدين واحد هو الإسلام لله.. فلم يستثن من الدخول فيه طوعاً إلَّا الشياطين وكثير من الجن والإنس. وهؤلاء هم من الذين فضّلهم الله على الكثير من خلقه بالعقل الخارق وحرية الاختيار وحمل الأمانة.. والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[3].

ولم يستثن سبحانه وتعالى من الآية شيئاً ممن خلق في السموات ولا في الأرض إلَّا ووصفه بالإسلام له إمّا طوعاً أو كرهاً.. والكفار والمشركون والملحدون والشياطين تشملهم هذه الآية بصفة الإسلام، فهم من ضمن من في السموات والأرض.. فكيف يكونوا مسلمين لله وهم كفار

---

(١) سورة فصلت: آية (١٧) .

(٢) سورة البلد: آية (١٠) .

(٣) سورة آل عمران: آية (٨٣) .

ومشركون وملحدون ؟

نحن شرحنا آنفاً كيف معنى الإسلام وكيف معنى الاستسلام بالإيجاز وسنشرح هنا معنىٰ ذلك بالإيجاز أيضاً.. فالإسلام طوعاً كما نعرف هو من المؤمن بالله في هذه الدنيا باختياره بالامتثال لأوامر الله ونواهيه، أمّا الإسلام كرهاً فمعناه الاستسلام لإرادة الله في وقت ليس فيه حرية اختيار للإنسان.. ذلك الوقت هو يوم القيامة يوم لا حولا ولا قوة لأي مخلوق من الجن والإنس حتىٰ على أعضائه من جسمه حين تتحرر أعضاؤه من سيطرته عليها ثم تشهد عليه بما كان يفعل بها في حياته الدنيا أمام الله .

وهنا يكون الإسلام كرهاً لأنهم سيستسلمون كرهاً لدخولهم جهنم لجزائهم علىٰ ما عملوا وذلك هو الإسلام كرهاً.. وقد يبدأ قبل الموت في ساعة الاحتضار بالضرب على الوجه والدّبر فيسلم الكافر قبل موته كرهاً... فالإسلام هو لله طوعاً وكرهاً لا خلاف عليه بين المؤمنين.. فما هي الأديان التي أنزلت من السماء غير الإسلام والتي تدّعيها اليهود والنصارىٰ على الله بأنها سماوية؟ فبالعقل يجب أن نفكر.. فلو أن الله جعل عنده أدياناً متعددة لجعل منها لكل جنس من

مخلوقاته ديناً يدين به وهو الفعال لما يريد ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكنه سبحانه وتعالى نفىٰ أن يكون عنده دين ثاني أو ثالث وقال :

﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ .

وقـــال :

﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ .

دين واحد أزلي أبدي.. دين الفطرة دين الولادة لكل إنسان.

إنّ تعدّد الأديان لا أصل له ولا دليل عليه أبداً.. **فكلمة** « أديان سماوية » باطل لفظها دخيلة على الدين والسماء، فالدين بحمد الله قد اكتمل لمحمد ﷺ لأنه سبحانه وتعالى قد شرع منه لكل نبي شرعة ومنهاجاً.. أي أن الدين عند الله مجموعة شرائع ومناهج كالدستور ومواده لأي دولة. «ولله المثل الأعلىٰ ».. حيث يكون عنوانه باسم الدستور وكل مادة منه تختص بشأن من شئون الدولة.. وتنص المادة الأولىٰ علىٰ كذا.. والثانية علىٰ كذا... إلخ. فدستور الله هو الدين واسمه هو الإسلام ومواده هي الشرائع والمناهج الخاصة به .

فكل أمة جعل الله لها شرعة ومنهاجاً علىٰ يد رسولها بما يناسب الزمان والحياة لكل أمة. وبعد شرعة ومنهاج عيسىٰ عليه السلام بقى عند الله شرعة ومنهاج محمد ﷺ وأمته..

ثم جمع الله تلك الشرائع والمناهج من عند آدم إلىٰ عند عيسى عليهما السلام.. فأعطاها سبحانه وتعالىٰ جملة واحدة لمحمد ﷺ ولأمته ثم أكملها بآخر شرعة ومنهاج، أي إنه أعطاه الدين كله بجميع شرائعه ومناهجه كاملاً.. فكل ما جاء في الكتب السابقة من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو غير ذلك مما هو حق فقد حواه الكتاب الخاتم المهيمن القرآن الكريم إضافة إلىٰ ما اختص الله به ذلك الكتاب من زيادة على ما جاء قبله لخير البشرية جمعاً.. كما أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين قد جمع الله فيه كل صفة محمودة وصف بها كل نبي قبله إضافة إلىٰ ما اختصه الله به من زيادة في الخلق العظيم ﷺ، فأكمل الله بذلك له ولأمته ﷺ الدين كاملاً وجمع فيه ﷺ الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة حتى اكتملت فيه ﷺ فقال جل شأنه:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾(١).

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾(٢).

فالدين كامل والنعمة تامة والحمد لله.. فيجب علينا نحن المسلمون لله بل علىٰ كل مسلم بعينه أن يتصدّىٰ لكل دسيسة

---

(١) سورة المائدة: آية (٣).

(٢) سورة القلم: آية (٤).

في دينه من أعداء الله ودينه وأن لا تأخذه لومة لائم أن يقول كلمةحق بشأن دينه إلَّا في حالة واحدة وهي: أن يخاف شراً محققاً.. وذلك إن كان في بلد كثير الطوائف الدينية كما هي الحال في بعض البلاد الإسلامية وخاصة منها التي لا تطبق أو لا تستطيع أن تطبق الشريعة الإسلامية وأحكامها لسبب وجود طوائف دينية معارضة لها.. والتي قد لا يأمن المسلم فيها على نفسه إن قال كلّ ما يجب عليه قوله نحو دينه.. إمّا لخوف على نفسه فله أن يتقي شرهم آخذاً برخصة الله له في قوله تعالىٰ:

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(1) .

أي إنه إذا ما أكره المؤمن علىٰ إظهار المجاملة بأي شكل ولأي سبب فلتكن نيته تقاة من نتيجة شر محقق يتوقعه لا يستطيع دفعه وذلك إن كان ضعيف العزيمة، وأن لا يكن ذلك منه بقصد المودّة إلىٰ أعداء الله والدين.. وذلك هو أضعف الإيمان بالله .

وليحذر من عالم السرائر الذي حذره بقوله تعالى: ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾. وقوله :﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(2)

---

(1) سورة آل عمران: آية (٢٨) .

(2) سورة النحل: آية (١٠٦) .

فليحذر أن تكون مودة منه إلى الكافرين حتّى يتجنب غضب الله والعياذ به.. لأن الله يعلم السر وأخفى.. **والذي** هو أخفى من السر هو ما لم يصل إلى النفس والتفكير بعد، وأمّا أن يكون ذلك منه مجاملة حياءاً بحكم اختلاط أو جيرة أو مصلحة، فإن الله هو العليم بما في صدره.. ولو أن ذلك ليس عذراً للمسلم نحو دينه ولكن يلزمه النصح لأمته ولو سراً بالتواصي.. كل ذلك إذا كان في بلد كثير الطوائف الدينية.. أقول «الطوائف الدينية وليس المذهبية»، أمّا إذا كان في بلد مسلم يطبّق ما جاء به الإسلام تطبيقاً عملياً شاملاً من أحكام الله دون السماع إلى كلمة لوم من أعداء الدين في تنفيذها.. فإن القائل كلمة حق بشأن دينه في مثل ذلك البلد بأمان إن شاء الله، إن قال كلمة حق ترفع من شأن دينه.. وعليه أن يتصدّى لكل كلمة باطل تسيء إلى دينه وأمته، فإن كان صائباً فيما قاله فقد أدّى ما هو واجب عليه نحو دينه.. وإن كان غير ذلك فللدّين حرّاس سيرشدونه إلى الصواب إن شاء الله.. وأمّا كلمة الحق فيجب أن تقال وإن غضب أعداء الله والإسلام وغضبوا.. فالأولى بالرضى هو الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ دون سائر الخلق، ونحن هنا

نقول كلمة حق إن شاء الله وهي: إن اليهودية والنصرانية قوميتان وليستا ديانتين سماويتين حقاً بأمرٍ من الله كما يدّعون، بدليلين قاطعين هما :

الدليل الأول : إن انتساب اليهود يعود إلى السبط يهوذا، فنسبوا الدين إليه.. والنصارىٰ ينسبون أنفسهم إلىٰ أنصار عيسىٰ عليه السلام فنسبوا الدين إليهم.. وقولي ينسبون أنفسهم إلى الأنصار.. لأنهم أي النصارىٰ ليسوا من ذرية الحواريين الذين هم أنصار عيسىٰ عليه السلام والذي ينسب النصارىٰ دينهم إليهم.. فالحواريون هم من بني إسرائيل.. والنصارىٰ المتدينون بالنصرانية من أصول أخرىٰ غير بني إسرائيل وعيسىٰ عليه السلام في الأصل من بني إسرائيل ورسول إلىٰ بني إسرائيل وذلك إن صح التعبير.. هو السلاح الديني الذي تملكه اليهود ويهددون النصارىٰ بإعلانه أمام العالم إذا ما توقف تحريض قساوسة النصارىٰ لشعوبهم وحكوماتهم عن الوقوف إلىٰ جانب اليهود ضد المسلمين. هذا الأمر لا يعلمه من النصارىٰ إلّا كبار علمائهم من القساوسة.. وذلك السلاح منطقه هو.. أن تعلن اليهود أمام العالم وتقول: إنّ النصرانية دين مختلق فلا دين لهم.. لأن عيسىٰ الذي

يدّعون بأنه ابن الله وأنه ربهم هو منا ورسول إلينا نحن اليهود.. والإنجيل الذي يدّعون بأنه كتابهم المقدس أنزل علينا.. وشهودنا علىٰ ذلك كلّه هم.. القرآن والمسلمون.. وليسأل العالم عن ذلك المسلمين.. فهم شهودنا علىٰ ذلك كلّه.. فإذا ما وقعت المواجهة بين اليهود والنصارىٰ بشأن ذلك ثم طلب اليهود الشهادة من المسلمين علىٰ ما قالوه.. فماذا يكون رد المسلمين علىٰ ذلك الطلب؟ هل يكتمون الشهادة بسبب بغضهم لليهود وهي ثابتة في القرآن الكريم؟ أم يؤدون الشهادة علىٰ وجهها بالحق؟ إنّ ذلك حق ونشهد به نحن المسلمون ويشهد به القرآن الكريم ولا ينكره مسلم.. فالقرآن الكريم يقول بشأن عيسىٰ عليه السلام:

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(١) .

ويقــول:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران: آية (٤٨ - ٤٩) .

(٢) سورة المائدة: آية (٧٢) .

وقـــال :

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(1) .

ويقـــول :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(2) .

ويقـــول :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(3) .

تلك هي شهادة القرآن، وشهادة المسلمين هي الإيمان به إذا طلب منهم ذلك... فالنصارىٰ حقيقة هم دخلاء على أهل الكتاب.. إذ ليس لهم رسول مباشر من الله إليهم وليس لهم

(1) سورة المائدة: آية (٧٩) .

(2) سورة الزخرف: آية (٥٩) .

(3) سورة الصف: آية (٦) .

كتاب خاص بهم من السماء مباشرة.. لأن التوراة والإنجيل في الأصل أنزلا على بني إسرائيل، وذلك ما يثبته لنا القرآن الكريم.. ولٰكن عيسىٰ عليه السلام بأمرٍ من الله جل شأنه أرسل رسلاً إلى الذين قالوا فيما بعد إنّا نصارىٰ يدعوهم إلى الدخول في دين الإسلام، وليس غير دين الإسلام دعاهم إليه عيسىٰ عليه السلام.. ثم بعد ذلك عاهدوا الله بأن يكونوا مسلمين.. قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾(١) .

فلمّا أجاب عيسى مَن أجابه منهم وأسلموا صاروا بعد ذلك محسوبين من أهل الكتاب.. كل ذلك بسبب إجابتهم لدعوة عيسىٰ قبل أن يجعلوه ابناً لله، فعيسىٰ عليه السلام ليس كمحمد ﷺ، لأن عيسىٰ عليه السلام رسول إلىٰ بني إسرائيل بينما محمد ﷺ أرسِل إلى الناس كافة.. فمحمد ﷺ لم يقل في دعوته يا أيها العرب أو قريش، وإنّما يقول يآ أيها

---

(١) سورة المائدة: آية (١٤) .

الناس إني رسول الله إليكم جميعاً. قال تعالىٰ :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1] .

وأمّا عيسىٰ عليه السلام فلم يقل في دعوته إلّا يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم.. فعيسىٰ عليه السلام ليس رسولاً في الأصل إلّا إلىٰ بني إسرائيل كما يؤكد ذلك القرآن الكريم فكل مخاطبته موجهة إلىٰ بني إسرائيل.. فلم نجد آية واحدة في القرآن الكريم تقول عنه يا أيها النصارىٰ إني رسول الله إليكم، وليس له كلام في القرآن الكريم موجهاً إلى النصارىٰ مباشرة أو بصريح العبارة، وإنّما يوجد في القرآن الكريم من الآيات ما يدل علىٰ دعوته لهم، ولٰكن ليس بالوضوح الذي يدعو به بني إسرائيل، وإنّما بالإشارة والتلميح.. فدعوته إلىٰ بني إسرائيل مباشرة لا لبس فيها ولا غموض فهو عليه السلام ليس رسولاً في الأصل إلّا إلىٰ بني إسرائيل ولٰكنه أراد بأمرٍ من الله نشر الدعوة إلى الإسلام في أمة غير بني إسرائيل بعد ما لعنهم الله عندما أحس منهم الكفر قال تعالى :

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٨) .

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

والأنصار هم كل مَن آمن بعيسىٰ من بني إسرائيل واتبعه، تلك الحجج القوية والواضحة في كتاب الله القرآن الكريم والتي يكون بها المسلمون شهوداً لليهود على النصارىٰ هي التي جعلت النصارىٰ طوعاً أو كرهاً تحت تصرف اليهود ضد المسلمين يصرفونهم كيف يشاؤن.. وإلَّا فما هو التفسير لذٰلك الإنحياز الأعمىٰ من جانب النصارىٰ إلىٰ جانب اليهود ضد كل حق من حقوق المسلمين وضد أمة يعترفون بأنها تدين بدين سماوي؟ إذاً فكل شيء وله ثمن، وثمن ذلك هو سكوت «الحاخامات» عن كشف الحقيقة حتىٰ لا يتعرّض النصارى: ودينهم إلى الاهتزاز أمام العالم.. ذلك هو أكبر الأسباب التي جعلت النصارىٰ يحاولون بكل جهدهم الالتصاق بالمسيح عليه السلام أكثر فأكثر ومن ذلك تخليهم عن اسم الديانة النصرانية وإعلانهم لتسمية ديانتهم بالمسيحية انتساباً إلى المسيح

(١) سورة آل عمران: آية (٥٢) .

مباشرة.. حتىٰ يكون العالم شاهداً لهم فيما بعد بالانتساب إلى المسيح عليه السلام **ليكون** عندهم رصيد فيما لو حدث ما يحذرونه من جانب اليهود: فبقاؤهم على النصرانية حسب اعتقادهم يبعدهم عن الالتصاق بالمسيح عليه السلام وهم بحاجة إلىٰ ذلك حتىٰ يعلم من يجهل بالرسول الذي أرسِل إليهم بأنه المسيح ابن الله كما يفترون عليه.. فكأنهم يقولون للعالم كن شاهداً لنا بأننا مسيحيون علىٰ دين المسيح ابن الله بهتاناً وزوارً، ولٰكن الله من ورائهم محيط، فكل نبي أرسل إلىٰ قومه خاصة إلَّا خمسة وهم أولوا العزم من الرسل. نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم.. فهٰؤلاء الخمسة وحسب مكانتهم من الرسل جميعاً أراد الله أن تكون دعوة كل منهم شاملة كليًّا أو جزئياً.. فنوح عليه السلام دعوته عامة للناس.. فأرسِل إلىٰ من في الأرض كافة والدليل دعاؤه عليهم جميعاً حين قال:

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(١) .

وأكبر آية له هي الطوفان الأعظم الذي طغىٰ على

(١) سورة نوح: آية (٢٦) .

المعمورة.. وإبراهيم ﷺ كذلك كان أمة ودعوته عامة إلى الناس كافة قال تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1] .

والناس علىٰ إطلاقها تعني جميع البشر في الأرض.. وموسىٰ عليه السلام دعوته تشمل البعض مع قومه.. فقد أرسِل إلىٰ فرعون وقومه وإلىٰ بني إسرائيل... وعيسىٰ عليه السلام كذلك دعوته تشمل البعض مع قومه فأرسِل إلىٰ بني إسرائيل ثم بعد ذلك أرسَل رسلاً إلى الذين قالوا إنّا نصارىٰ .

ومحمد ﷺ دعوته أشمل وأعم فقد أرسِل إلى الناس كآفة وإلى الجن أيضاً.. قال تعالىٰ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وقـــال :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

---

(١) سورة الحج: آية (٢٧) .

(٢) سورة سبأ: آية (٢٨) .

عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾(1) .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
۝٢٩ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
۝٣٠ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(2) .

فالجن استمعوا إلىٰ ما أنزل على محمد ﷺ ثم أسلموا وآمنوا ودعوا قومهم إلى الإيمان به .

والدليل الثاني : إنّه لا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الشريف ذكر أديان تنسب إلى السماء غير الإسلام و لم يذكر الدين بصيغة الجمع إطلاقاً. كل ذلك يؤكد لنا تأكيداً قطعياً بأن اليهودية ليست ديانة سماوية بهذا الاسم.. لأن اسم يهودية هو نسباً إلىٰ قوم وانتماء.. كذلك النصرانية ليست ديانة سماوية

---

(1) سورة الجن: آية (1 – 2) .

(2) سورة الأحقاف: آية (31) .

بهذا الاسم لأن اسم نصرانية هو نسباً إلى قوم وانتماء أيضاً، ولم ينزل على اليهود والنصارىٰ إلا دين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وهو الإسلام لهم وللبشرية جميعاً.. بل ولكل الكائنات في السماء وفي الأرض.. فكما قالت اليهود والنصارىٰ إنه لن يدخل الجنة إلَّا من كان هوداً أو نصارىٰ.. نقول لهم: كذبتم ورب السماوات والأرض ومَن فيهن ورب الجنة والنار إنكم لكاذبون.. ولٰكنا نقول لكم ونحن صادقون، ورب السماوات والأرض ورب الجنة والنار إنه لن يدخل الجنة إلَّا مَن كان مسلماً مؤمناً بالله وملائكته وكتبه جميعاً ورسله جميعاً واليوم الآخر والغيب والقدر ولن يسب كتاباً سماوياً ولا نبياً مرسلاً ثم لا يفرّق بين نبي ونبي إلَّا بما فضّل الله به بعضهم علىٰ بعض مثل أولي العزم وموسىٰ وعيسىٰ منهم. وسواء كان المسلم من قومية عربية أو قومية يهودية أو قومية نصرانية أو كان شرقياً أو غربياً أو أسوداً أو أبيضاً فدين الله ليس مخصصاً لجنس دون جنس ولا للون دون لون ولا حتىٰ لخلق دون خلق وإنّما لكافة من في السموات والأرض.. فمحمد ﷺ رسول إلى الناس كافة دون تمييز ولا تفضيل..

* * *

الفصل الرابـع

الإسـلام والإيمـان

وبعـــد: فإنّ من المسلمين من يقول إن أهل الكتاب ليسوا بمشركين.. وإنّ الله لم يصفهم بالشرك.. وإنما وصف بالشرك كفار قريش لعبادتهم الأصنام والأوثان.. ثم وصف بعض أهل الكتاب بالإيمان .

فنقول وبالله التوفيق :

إن أول ما فرض على الإنسان قبل وجوده في الدنيا هو الدين الإسلام ثم الإيمان.. فالإسلام دين والإيمان عقيدة.. ومَن لا دين له لا عقيدة له، كذلك مَن لا إيمان له فلا دين له.. وإنّ الإيمان لا يكون ولا يُقبل إلّا بعد الإسلام قال تعالىٰ :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(1) .

أي غير مسلمين وقال تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(2) .

---

(1) سورة يوسف: آية (١٠٦) .

(2) سورة الحجرات: آية (١٤) .

وقـال تعالى :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

فالإيمان هو المرحلة المكمّلة للإخلاص لله بعد الإسلام.. فالدين هو في الدرجة الأولٰى قبل العقيدة.. ثم إننا لا ننكر بأنه كان منهم مؤمنون قبل ظهور محمد ﷺ وهٰؤلاء المؤمنون منهم كان دينهم الإسلام وكانت عقيدتهم الإيمان .

أولئك هم من وصفهم الله سبحانه وتعالٰى بالإيمان من أهل الكتاب.. وبما أن الإسلام دين والإيمان عقيدة فإنه لا يجوز التفريق بينهما.. وبذلك فلا، يقبل الإيمان من المرء قبل إسلامه لأنه لو آمن بالله قبل الإسلام فإنه لم يزل مشركاً فالإسلام إعلاني والإيمان غيبي.. الإسلام إعلان بوحدانيـة الله جـل جلالـه ومبـادىء وأخلاق وأفعال وأقوال بما أمر الله به وما نهٰى عنه.. الإسلام عمل يراه الناس ويحسونه من المسلم في معاملته لهم وأخلاقه معهم.. فإذا ابتلى استتر وإذا اطّلع ستر إلّا أن يخشٰى فساداً في الأمة.. ولا يجهر بالسوء من القول ولا من الفعل كما يفعل غير المسلمين وذلك

---

(١) سورة الحجرات: آية (١٧) .

حتىٰ يسلَم الناس من شرّه.. قال تعالىٰ:

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ ﴾[1].

ذلك هو المسلم وذلك هو الإسلام، وكما جاء في الحديث الشريف: « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » أو كما قال ﷺ.. وأمّا الإيمان فهو غيبي بين العبد وربه فلا يظهَر عليه أحد من خلقه عقيدة في قلب المؤمن بأن الله يره في كل زمان وفي كل مكان في ظلمة أو في نور وإن لم يكن يره.. وإنه سبحانه وتعالىٰ يراقب كل فعل منه سراً وعلانية.. والإسلام والإيمان مفروضان على كل إنسان فإذا ما نقص الإيمان عند الإنسان لجهل بصفات الله أو بنوع من الشك في بعض الغيبيات مثلاً.. فإنّ الله سبحانه وتعالىٰ يتجاوز عنه ويعفو عن كثير.. أمّا إذا نقص الإسلام من جانب الإنسان فذلك ما لا يتساهل فيه سبحانه وتعالىٰ ولا يغفره لأنه نقض للعهد وخيانة عظمىٰ بحق الله وذلك هو الشرك الذي لا يغتفر له ذنب ولا يأذن الله بالشفاعة فيه لأحدٍ.. فهو جل شأنه لم يشدد بالأمر على المسلم بأن لا يمت إلا وهو كامل الإيمان

---

(١) سورة النساء: آية (١٤٨).

لأنه قد لا يكون عند بعض المسلمين الإيمان كاملاً بجميع شعبه لجهل أو لشك أو لعدم وعي أو استيعاب.. فلم يكلّفه الله ما لا يستطيع استيعابه.. ولكنه سبحانه وتعالىٰ أمر وشدد بالأمر على المؤمن وحذّره بأن لا يمت إلّا وهو مسلم كامل الإسلام.. لأن النقص في الدين شرك بالله فقال سبحانه وتعالىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١) .

وقـــال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾(٢) .

في هذه الآية يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **من يرتدّ منكم عن دينه** ﴾ ولم يقل عن إيمانه.. فالإيمان قد يخرج منه الإنسان المسلم لحظة ثم يعود إليه.. إمّا لشكٍ في بعض آيات الله الغيبية أو لعمل قد يحدث من المسلم المؤمن لا يرضي الله فيكون

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢) .

(٢) سورة المائدة: آية (٥٤) .

الله غائباً عن ذهنه ساعة وقوع الخطيئة منه.. مثل سرقة أو زنا والعياذ بالله ثم يعود الإيمان إلى قلبه فيتذكّر بأن الله رآه ساعة فَعل فيندم ويستغفر الله لذنبه ويتوب إليه والدليل على ذلك حديث رسول الله ﷺ حين قال: « **لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » أو كما قال ﷺ ففي هذا الحديث الشريف أدق تعبير عن الناحية الإيمانية في الإنسان المسلم.. لأن النبي ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ عليه صلاة الله وسلامه.. أوضح في هذا الحديث بأنه قد يحدث من المسلم المؤمن غفلة توجب خروجه من الإيمان أو خروج الإيمان من قلبه في وقت قد يضعف فيه أمام عدو الله وعدوه إبليس فينسىٰ بأنّ الله يره.. فالنبي ﷺ قال: لا يسرق السارق حين يسرق أي في **وقت** حدوث السرقة ولا يزن الزاني **حين** يزني أي في وقت **حدوث** الزنا. ولم يقل ﷺ لا يسرق السارق وهو مؤمن.. ولا يزني الزاني وهو مؤمن.. وإنّما حين الفعل منه ليس بمؤمن.. أي إنّ الإيمان قد انتزع منه لحظة فعله لما يغضب الله والعياذ به لأنه نسي ساعتها بأن الله يره فنقص إيمانه بالله بل انتزع كلية لحظة غياب الله عن ذهنه .

فلو أنه خطر بباله ساعة إقدامه علىٰ فعل الجريمة أن أحداً يراه من الناس لمَ فعل شيئاً.. لأنه يخاف إن فعل شيئاً يفضحه ذلك الإنسان فامتنع خوفاً منه.. ولٰكنه إن فعل ذلك ظاناً بأن أحداً لم يره فإنه قد نسي إنّ الله عالم الغيب والشهادة هو الذي يراه، وبذلك يكون الله قد غاب عن ذهنه وبه فقد انتزع الإيمان بالله من قلبه بغياب الله عن ذهنه.. فإذا ما انتبه وعاد إلىٰ رشده وتذّكر بأن الله قد رآه حين فعل فإنّ الإيمان يعود إلىٰ قلبه ثم يتوب ويندم ويستغفر الله لذنبه، قال تعالىٰ في الحديث القدسي: « **يا عبادي إن كنتم تعتقدون إنني لا أراكم فالنقص في إيمانكم وإن كنتم تعتقدون إنني أراكم فلمَ تجعلونني أهون الناظرين إليكم** » أو كما قال سبحانه وتعالىٰ، فذلك هو الإيمان بالله ولٰكن الإسلام يختلف عنه فإن خرج منه الإنسان المسلم فقد ارتدّ والعياذ بالله وحل قتله إلّا أن يستتاب فيتوب.. وإن صرف منه شيئاً لغير الله فقد أشرك بالله، وذلك لأن الله قد أخذ العهد علىٰ كل إنسان بذاته وصفاته الكاملة في عالم الخلق الأول «النشأة الأولىٰ».. بأن يكون مسلماً لله.. أخذ عليه العهد وهو بكامل قواه العقلية والسمعية والبصرية والبدنية أيضاً.. إذ لا يمكن أن يحمل أي إنسان عهداً أو شرطاً

لأي أحد كان إلَّا أن يكون بكامل صفاته المؤهلة لحمل ذلك العهد أو الشرط.. وإلَّا فلا يلزمه الوفاء به إذا لم يكن بكامل مؤهلاته لذلك.. فالله سبحانه وتعالىٰ أخذ العهد علىٰ كل فرد من البشر وهو بكامل وعيه، وليس ذلك على الله بعزيز كما أنّ ذلك ليس وهمياً أو افتراضياً.. فهو جلت قدرته أوجدهم فعلاً ثم أخذ عليهم العهد ثم أماتهم موتة جماعية ثم أحياهم إلى الدنيا حياة إفرادية، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾(١) .

أي أنهم شهدوا على أنفسهم وعاهدوا الله بأن يكونوا مسلمين غير مشركين مؤمنين غير كافرين وذلك بالطبع كما أسلفنا لا يمكن أن يصدر إلَّا من إنسان عاقل يعلم ما يقوله وما يلتزم به نحو غيره.. لأن كلام الله ليس كلام توقعات أو كلام افتراضات، وإنما هو كلام واقع حقاً لا افتراضياً.. لأنّ أمره سبحانه وتعالىٰ بكاف ونون يوجَد كل شيء ويكون وهو الفعّال لما يريد وهو الذي يبديء ويعيد، فهو سبحانه وتعالىٰ

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٧٢) .

أخذهم إلى الوجود فعلاً وأشهدهم علىٰ أنفسهم فأجابوه بالشهادة.. فقال لهم جل شأنه إنني أحذّركم من نفسي وأنا ربكم أن تخونوا هذا العهد الذي بيني وبينكم فاحذروني بقوله تعالىٰ:

﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

ذلك لأن الله سبحانه وتعالىٰ بقانونه الإلٰهي وبقدرته القادرة عندما خلقهم الخلق الأول «النشأة الأولى» في عالم الذر وأخذ عليهم العهد كان سبحانه وتعالى قد جمعهم في مشهد مشابه ومماثل لمشهد يوم القيامة حفاة عراة مثلما سيبعثهم من قبورهم سواءً بسواءٍ، وكل فرد منهم يراه الله عز وجل في هيئته مثل يوم سيبعثه يوم القيامة، بأجسادهم بعددهم بعقولهم بشخصياتهم، سواءً منهم من توفّاه الله بعد ذلك في الدنيا في بطن أمه جنيناً أو بعد ولادته كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثىٰ، فقد أحصاهم وعدّهم عداً يوم أخذ عليهم العهد.. ثم يقول لهم الله سبحانه وتعالىٰ أوّل ما يقول يوم

(١) سورة الأعراف: آية (١٧٢ – ١٧٣).

القيامة في جمعهم :

﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾[1] .

فأول مرة هي النشأة الأولىٰ وليس الحياة الدنيا لأن النشأة الأولىٰ هي المماثلة والمشابهة للمرة الآخرة.. أي لقد جئتمونا مثل يوم خلقناكم أول مرة وهي التي أخذ الله العهد عليكم فيها.. تلك أي يوم القيامة هي المرة الأخيرة صورة مطابقة ومماثلة للمرة الأولىٰ التي أشهدهم فيها على أنفسهم فلا تختلف عن صورة يوم القيامة في شيء أبداً حفاة عراة غرل.. فكل إنسان بعينه شهد ذلك المشهد العظيم ووعىٰ كّل ما جرىٰ فيه، وحمل الأمانة لله وعاهده علىٰ دين الإسلام له.. فبقي الإنسان من تلك اللّحظة التي عاهد الله فيها مسلماً لله حتىٰ يولد كما جاء في الحديث الشريف: « **يولد المرء مسلماً فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » أو كما قال ﷺ.. فالإنسان بطبيعته مسلماً فطرياً حتىٰ يولد وبعدها يكون كما جاء في الحديث.. وأمّا بالنسبة لذكرىٰ ذلك الحدث العظيم الأول من

---

(١) سورة الكهف: آية (٤٨) .

ذاكرة الإنسان فقد كانت الموتة الأولىٰ بعد أخذ العهد موتة جماعية ثم بعد ذلك خلقوا فراداً للحياة الدنيا وبقيت الذكرىٰ محفوظة في غيب الله فلم تعد إلىٰ ذاكرة الإنسان إلَّا بعد موته من أجل مساءلته في القبر أو يوم القيامة ليتذكّر ما سعىٰ عندما يسأله الله عن عمله.. وذلك ليمتحن الله سبحانه وتعالىٰ عبده في حياته الدنيا بأن يكون على يقين بما سيأتيه من ربه بواسطة رسله مصدقاً بكل ما جاء في كتاب الله وجاء به رسوله ﷺ .

فإذا قال الله سبحانه وتعالىٰ إنني قد أخذت عليك العهد فليصدّق كلام الله دون الرجوع إلىٰ ذاكرته للبحث فيها عن ذلك الحدث العظيم.. وأن لا يقول في نفسه متىٰ حدث ذلك وكيف؟ لأنه سيحاول عبثاً وأنّىٰ له الذكرى؟. وعليه أن يكون الله سبحانه وتعالى عنده أصدق من ذاكرته ومن سمعه وبصره.. ثم يكون علىٰ يقين أكثر من يقينه بمعرفته نفسه ووالديه وولده بأن الله لا يقول إلَّا حقاً وأن ذلك قد حدث فعلاً بينه وبين ربه من قبل.. فإن صدّق الله فيما قاله عن ذلك في كتابه الكريم وقاله رسوله الكريم ﷺ فقد أفلح وذلك هو ذروة الإيمان بالله وبالغيب. وإن كذّب فقد خسر نفسه.. ولنا في ذلك مثل مما يحدث في أنفسنا .

فقد يحدث للإنسان في حياته الدنيا من إزالة بعض معلوماته أو كلها من ذاكرته مما يجعلنا نؤمن بقدرة الله على ذلك كله.. فقد يمر على الإنسان حدث من الأحداث فيكون مخزوناً في ذاكرته فما يلبث أن تتقدم به السن فينسىٰ ذلك الحدث من بعد علمه به.. قال تعالىٰ:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(١).

وقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾(٢).

وقد يحدث للإنسان حادث جسدي أو نفسي يفقده ذاكرته كلية أو عقله ويعيش في مجتمعه بشخصية جديدة ناسيًّا

---

(١) سورة النحل: آية (٧٠).

(٢) سورة الحج: آية (٥).

كل ما قبل الحادث. حتى إنه لم يعد يذكر اسمه وذلك ما يعرف بفاقد الذاكرة أو المجنون.. وقد ينسىٰ الإنسان العادي الطبيعي بعض ما يفعله بالأمس القريب بسبب ضعف في ذاكرته مثلاً: فما بالنا بقدرة الفعّال لما يريد عز وجل، وفيما يشاء فعله لاختبار عبده وامتحانه بنزع ما يشاء من ذاكرته حتىٰ يختبره بالتصديق له.. فما قاله القرآن الكريم فقد حدث فعلاً لا شك فيه ولا ريب عند من يؤمن بالله وبالغيب قال تعالىٰ:

﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(1) .

ومن قدرته أن يمحو ما يشاء من ذاكرة الإنسان ويثبت ما يشاء فيها لاختباره وقوة إيمانه بالله وبالغيب.. ثم ما بالنا أيضاً بموته ثم حياة من جديد من بعدها موتة ثم حياة؟ قال تعالىٰ:

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾(2) .

ذلك ما سيقوله غير المسلمين يوم القيامة بعد إعادة

---

(1) سورة الرعد: آية (٣٩) .

(2) سورة غافر: آية (١١) .

الذكرىٰ إليهم.. ذكرى النشأة الأولىٰ وموقفها وعهدهم مع الله فيها. «أمتنا اثنتين»؟ فالموتة الأولىٰ هي التي وقعت بعد أخذ العهد عليهم فأماتهم الله موتة جماعية بعد أخذ العهد مباشرة.. والموتة الثانية هي الموتة الإفرادية بعد الحياة الدنيا.. « وأحييتنا اثنتين» الحياة الأولىٰ هي الحياة الإفرادية في الدنيا والحياة الثانية هي الحياة الجماعية يوم القيامة.. فالإنسان له موتة جماعية وموتة إفرادية، وله حياة إفرادية وحياة جماعية.. فالخلق الأول «النشأة الأولى» لا تعتبر حياة بالمعنىٰ لأنها خلق والخلق وجود من عَدَم أو من لا شيء.. وما قبلها لا تُعتبر موتة لأنها عُدم لا وجود له.. فالحياة لا تسمّىٰ حياة إلّا من بعد موت. والموت لا يسمَّى موتاً إلّا من بعد حياة... فهم قالوا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين أي أمتنا بعد الإيجاد من عَدم وأخذ العهد ثم أمتنا بعد مرحلة الامتحان وهي الحياة الدنيا.. وقالوا وأحييتنا اثنتين الأولىٰ هي الحياة الدنيا والثانية هي حياة يوم الحساب عندما تعود الذكرىٰ إلىٰ ذاكرة كل إنسان ليتذكّر ما كان منه وما سعىٰ.. ذلك هو الدليل اليقين على جمعهم في «النشأة الأولى» يوم أخذ الله العهد عليهم في صورة يوم القيامة.. فيقول تعالىٰ لهم يوم القيامة :

﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

﴿ **ولقد علمتم** ﴾؟.. العلم هو خلاف المشاهدة لأن العلم هو خبر بشيء حدث و لم يره السامع بالخبر عنه.. قد يكون ذلك الخبر من ثقة وقد يكون من غير ثقة، وإعلامنا بذلك جاءنا من أعلىٰ ثقة في الوجود هو الله جل جلاله بقوله: ﴿ **ولقد علمتم النشأة الأولىٰ** ﴾ أي: يا أيها الناس إن لم تكونوا متيقنين بمشاهدة ما حدث بيني وبينكم من العهد لعدم تذكّركم له وبأنه حق فقد أخبرتكم به فلتؤمنوا به وتصدّقوا إخباري لكم بما جرىٰ من وجودكم وأخذ العهد عليكم.. فإن لم تكونوا متذكّرين لذلك الموقف العظيم وما جرىٰ فيه بيني وبينكم.. فالواجب عليكم أن تصدّقوا بأنه قد حدث وتؤمنوا به لأنني أقول ذلكم وأنا ربكم.. فأنا قد أعلمتكم بواسطة رسلي إليكم بأنني قد أخذت العهد عليكم ولٰكنّكم لم تصدقوهم و لم تتبعوهم بل كذّبتم بما جاؤكم به.. فاليوم سوف تحاسبون بالعدل لا بالإحسان.. فمن الواجب علىٰ كل إنسان التصديق بما جاء في كتاب الله وأحاديث رسوله محمد ﷺ.. وعلى الرغم من

---

(١) سورة الواقعة: آية (٦٢) .

ذلك فإن الله سبحانه وتعالىٰ لا يؤاخذ عبده إذا ما شك في بعض الغيبيات ثم كتم الشك في نفسه وسأل نفسه بنفسه كيف حدث ذلك ومتىٰ؟ وإنما يؤاخذه الله إذا تحدّث وأعلن شكه وتكذيبه وإنكاره لذلك؟ بقوله إن ذلك لم يحدث.. ففي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: « **لقد تجاوز الله عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم** ».. أو كما قال ﷺ.. ولذلك فليكن الشك مكتوماً عند المؤمن إذا ما حدّثته نفسه ثم شك في بعض آيات الله الغيبية، فإن سأل وأفتيَ فليصدق ولا يرتاب .

فحين يبعثه الله تعالىٰ.. تعاد له الذكرىٰ إلىٰ ذاكرته وسيذكر بقدرة الله كل شيء مرّ عليه ابتداءاً من النشأة الأولىٰ وانتهاءاً بآخر نفس له في الحياة الدنيا.. فإذا ما سأله الله جل شأنه يوم القيامة عن العهد الذي بينه وبينه وماذا عمل في حياته الدنيا يكون ذاكراً كلما حدث بينه وبين ربه وما عمله في الدنيا.. ثم يكون قادراً على الإجابة لكل سؤال يوجّه إليه من الله عن ذلك.. لأن الله سبحانه وتعالىٰ من عدالته وإنصافه لخلقه لا يسأل عـبداً عن شيء لا يعلمه أبداً.. والدليل علىٰ علمهم الكامل يوم القيامة بعد إعادة الذكرىٰ إليهم أنهم

اعترفوا فيما اعترفوا به بموتتين اثنتين لم يتذكروا منها في حياتهم الدنيا إلا موتة واحدة وهي المنتظرة لكل منا في حياته الدنيا.. فلا أحد يتذكّر ما قبل وجوده في الدنيا إلّا تصديقاً بما قاله الله في كتابه وقاله رسول الله ﷺ بالحكمة .

فلو قيل لأحد في الدنيا: هل مت قبل هذه الحياة ثم حييت؟ فإنه سيستغرب ذلك السؤال من السائل وهو فعلاً غريب عند مَن لم يعلم.. فيقول له كيف؟ هل مت قبل هذه الحياة وأنا لم أمت بعد وجودي في هذه الدنيا؟.. والله سبحانه وتعالىٰ لم يفرض العلم بذلك فرضاً ويقيناً إلّا على أولي العلم بالله وآياته.. ثم يعفي الكثير منا ويعذره لعدم علمه ومعرفته بذلك.. أو عدم إلمامه أو استيعابه .

فيقول سبحانه وتعالىٰ في أواخر الكثير من الآيات القرآنية المخبرة عن ذلك وما أشبهه من الوقائع الغيبية عبارة: ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ و﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ و﴿ **لو كنتم تعلمون** ﴾ و﴿ **كلا لو تعلمون** ﴾ وما يعبّر عن ذلك من الآتيات القرآنية، فيوم القيامة يكون كل إنسان ذاكراً لموتتين وحياتين معاً.. فعندما تعاد له الذكرىٰ إلىٰ ذاكرته يسأله الله

فيعترف على علم بأن الله قد عاهده على الإسلام له ديناً في النشأة الأولىٰ.. فالمؤمن المصدّق إلى الجنة ونعيمها والكافر المكّذب إلى النار وجحيمها والعياذ بالله قال تعالىٰ:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(١).

فعلىٰ كل مسلم أن لا يترك للشك مجالاً في قلبه ممّا جاء به القرآن الكريم وقاله رسول رب العالمين ﷺ. من الكتاب والحكمة حتىٰ يكون في زمرة الصدّيقين.. فالإسلام فرض وعهد على الكبير والصغير من البشر قبل وجوده في حياته الدنيا. أمّا الإيمان لم يفرض عليه قبل وعيه في الدنيا مثلما فُرض عليه الإسلام.. كما إن الإنسان بموجب العهد القديم بينه وبين ربه يولد مسلماً فطرياً كما جاء في قوله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

إنّ الدين الإسلام هو فطرة الله التي فطر الناس عليها..

---

(١) سورة المطففين: آية (١٠ - ١١).

(٢) سورة الروم: آية (٣٠).

كل الناس دون استثناء فلا تبديل للدين الإسلام ولا دين قبله ولا بعده عند الله.. تلك هي الفطرة لكل إنسان من البشر وكما جاء في الحديث الشريف : « **يولد المرء مسلماً فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** »، أو كما قال ﷺ.. .

نعم يولد الإنسان مسلماً كما قال ذلك رسول الله ﷺ بالتوضيح، وكما قاله الله لا بالإبهام، ولٰكن بالشمول ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ فالإنسان مسلم من اللحظة التي عاهد الله فيها في النشأة الأولىٰ فبعد ولادته إمّا أن يبقىٰ مسلماً بالفطرة وبموجب العهد الموثّق مع الله وذلك إن كان أبواه مسلمَين.. وإمّا أن يختار له ديناً آخر بنفسه بحكم اختلاطه مع غير المسلمين من أهل الديانات الوضعية.. أو أن يختار له أبواه دينهما إذا لم يكونا مسلَمين.. ذلك هو الإسلام دين الله الأوحد المنسوب إلى السماء وهو الذي كان ولم يزل عند الله منذ خلق السماوات والأرض وقال: ﴿ **ذلك الدين القيّم** ﴾ وأمّا الإيمان فهو يكتسب بعد ذلك بالعلم والمعرفة والتفكير والتأمل في آيات الله .

أولاً: البيّنات منها مثل :

السماء والأرض وما عليها.. والشمس والقمر والنجوم

واختلاف الليل والنهار وسائر الآيات المرئية.. ثم الإيمان والرهبة بقدرة الله تعالىٰ علىٰ إرسال الكوارث إلى الناس مثل: البراكين والزلازل والخسف والأعاصير والصواعق والفياضانات وويلات الحروب والدمار وإثارة الفتن وغيرها التي لا يزال الله جلت قدرته يرسلها من حين إلىٰ حين إلىٰ يوم القيامة علىٰ أهل الفساد في الأرض.. وعلى الرغم من هذا كلّه فإنّ النّاس لا يعتبرونها إنذاراً وتذكيراً من الله إليهم.. فلم يتعظوا بها أبداً وإنما يقولون إن هي إلا عوامل طبيعية لا دخل للسماء فيها.. ومن المحزن ومما يؤسف له جداً أن من المسلمين أنفسهم من يقول ذلك بكل جرأة على الله جلّت عظمته، وكأنه سبحانه وتعالىٰ نفض يديه من التصرف في كونه وجعل الطبيعة العشوائية وكيلة له في شئون الكون.. ولم يتدبّروا معنىٰ قوله جل شأنه:

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾(١)

---

(١) سورة الرعد: آية (١٣).

وقـــوله :

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(١) .

وقـــوله :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾(٢) .

وقـــوله :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(٣) .

ملحوظـــة : إنّ بعض الناس يظنون بأن الله يأمر المترفين بالفسوق والعصيان عنوة حتىٰ يحق عليهم القول بالتدمير والعذاب وهذا غير صحيح. **إن الله لا يأمر بفحشاء ولا بمنكر ولا بفسوق وإنما يأمر بالعدل والإحسان**، والمعنى هنا أن الله

---

(١) سورة الرعد: آية (٣١) .

(٢) سورة النحل: آية (١١٢) .

(٣) سورة الإسراء: آية (١٦) .

يأمرهم بالرجوع إلى كتابه الكريم وسنة نبيه محمد ﷺ والأخذ بما فيهما والشكر على النعم.. «ففسقوا».. أي لم يطبقوا أمر الله لهم بالتقوىٰ.. والخلاصة لذلك كلّه: إنّ الله لايزال يرسل الكوارث على المفسدين في الأرض إصابة وتخويفاً حتىٰ تقوم الساعة.. تلك هي آيات بل من آيات الله البينات.. ثم بعد ذلك يرتقي المسلم بإيمانه إلى الغيبيات مثل: وجود الله جل شأنه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ثم بقمة الغيب بعد الإيمان بالله وهي النشأة الأولىٰ.. ثم الإيمان بالجنة والنار وأن الله سيبعث من في القبور، والإيمان بضع وستون شعبة كما جاء في الحديث الشريف.. أمّا الإسلام فليس فيه شعب كالإيمان.. فالإيمان مطلوب من الإنسان بعد الإسلام بأن يكون مسلماً أولاً ثم يؤمن بعد ذلك... قال تعالىٰ:

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[1] .

أي أن تشهدوا أولاً بأن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.. وهذا ما عاهد الله عليه كل فرد منكم قبل إبرازه

---

(١) سورة الحجرات: آية (١٤) .

إلى الوجود في هذه الدنيا.. وبالنطق بالشهادتين تكونون قد جددتم العهد القديم مع الله ودخلتم الدين الإسلام.. وذلك هو المطلوب الأول منكم قبل الإيمان وهو الاعتراف بوحدانية الله سبحانه وتعالى.. ثم بعد ذلك تتفقهون في الدين حتى تعرفوا الله حق المعرفة وتعرفوا آياته البينات وتوقنوا بالغيبيات وعندها تكونوا مؤمنين حقاً فيحق لكم أن تقولوا آمنا.. وأمّا وصف الإنسان بالإيمان في القرآن الكريم فلا يمكن أن يوصف بأنه مؤمن إلّا وقد سبق إيمانه بالله اسلامه له.. فإذا وصف شخص ما أو جماعة بالإيمان في آية من القرآن الكريم فعلينا أن ندرك بأنه قد أسلم قبل الإيمان لأن القرآن يكتفي بالصفة المتممة للإخلاص لله من الإنسان وهي صفة الإيمان لأن الإيمان هو المرحلة الأخيرة للإخلاص بعد الإسلام.. قال تعالى:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١) .

أي إن المنّة لله على الإنسان إذا ما هداه للكمال بالعقيدة الإيمانية بعد الإسلام.. فمن آمن ولم يسلم فهو مشرك ومن

---

(١) سورة الحجرات: آية (١٧) .

أسلم ولم يؤمن فهو منافق.. قال تعالىٰ :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(١) .

فلو كان إيمان الإنسان كاملاً لكان مؤمناً بمحمد ﷺ ضمن إيمانه الكامل بالكتب والرسل.. ولو آمن بمحمد ﷺ لطبّق ما جاء به محمد ﷺ.. ولو طبق ما جاء به محمد ﷺ لكان مسلماً بطبعه.. ومن المؤكد إن القرآن الكريم قد وصف بعض أهل الكتاب بالإيمان لأنه كان من اليهود والنصارىٰ من ينتظر ظهور محمد ﷺ ليتبعه .

وهٰؤلاء الموصوفون من أهل الكتاب كانوا هوداً ونصارىٰ انتساباً لا ديانة ومسلمين ديانة علىٰ دين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام علىٰ ملة إبراهيم ﷺ ومصدقين ببشارة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام بمحمد ﷺ.. ولم يكونوا يهوداً ونصارىٰ ديانة كيهود ما بعد محمد ﷺ بل كانوا مستبشرين به مستفتحين به.. قال تعالىٰ :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾(٢) .

---

(١) سورة يوسف: آية (١٠٦) .

(٢) سورة آل عمران: آية (١٩٩) .

وقـــال :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

أي إنه لمّا جاءهم محمد ﷺ بالحق وبما هو عندهم في التوراة والإنجيل من أحكام إلٰهية جاءت في القرآن الكريم وصفات نبوية جاءت في شخص محمد ﷺ وعرفوا ذلك كله بأنه الحق و لم يراودهم فيه شك.. فمنهم من صدّق وآمن بما جاء به محمد ﷺ ومنهم من جحد وكفر علىٰ علم يقين بأنه الحق.. وقد يكون منهم في يومنا هذا من يريد الله به خيراً فيسلم لله سبحانه وتعالىٰ.. فالله سبحانه وتعالىٰ يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد أعطىٰ كل إنسان عقلاً يفكّر به ويعرف الحق من الباطل، فمن كان مؤمناً ببعض الكتب السماوية وكافراً ببعض وهو يعلم ذلك فإنه لا إيمان له وإن ظن بأنه مؤمن بل ينطبق عليهم معنى قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة: آية (٨٩) .

(٢) سورة يوسف: آية (١٠٦) .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾[1] .

وكما سبق شرحه فإنه لا إيمان لمن لم يسلم ولا إسلام لمن لم يؤمن عناداً وجحوداً وهو يعلم بذلك فمثلاً: منهم من يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالىٰ وملائكته كالوثنيين مثلاً.. ويؤمن بالتوراة والإنجيل ويؤمن بموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ثم يكفر بالقرآن الكريم وبمحمد ﷺ.. أي يؤمن ببعض الكتب وببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر كاليهود والنصارىٰ.. فمثل ذلك لا يكون كافراً فحسب بل يكون كافراً ومشركاً معاً.. فمن نقص عنده من الإيمان ركن أو بعض ركن من الستة الأركان التي بني عليها الإيمان وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ مع علمه بذلك وإصراره على الإنكار والجحود والتعنت. فقد كفر. ومن نقص عنده من الإسلام ركن

---

(١) سورة النساء: آية (١٥٠ – ١٥١) .

أو بعض ركن من الخمسة الأركان التي بني عليها الإسلام وهي: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت مع الاستطاعة.. فقد أشرك.. ونحن علىٰ حق إن قلنا إنّ اليهود والنصارىٰ كفار ومشركون معاً كما أشار إليهم عيسىٰ عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾(1).

وقـال:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾(2).

ولٰكن هل كفروا فحسب أم إنهم كفروا وأشركوا معاً؟ إنهم ارتكبوا البابين باب الكفر وباب الشرك.. لأن الكفر هو ستر الحق عن الخلق وقد فعلوا فأخفوا ما جاء في التوراة

---

(١) سورة المائدة: آية (٧٢).

(٢) سورة المائدة: آية (٧٣).

والإنجيل من الحق.. والشرك هو منازعة الله عز وجل فيما لا ينبغي إلّا له وحده سبحانه وتعالىٰ ليكون لغيره فيه نصيب وقد فعلوا ذلك باتخاذهم أرباباً من دون الله يُعبَدون .

لقد وصفهم الله بالشرك علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام بقوله :

﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار ﴾ .

فالكلام هنا موجه من عيسىٰ عليه السلام إلى اليهود والنصارىٰ قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(١) .

وهذا شرك بحد ذاته لا يحتاج إلىٰ تعليق عليه أو تفسير له.. وقال تعالىٰ : ﴿ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة التوبة: آية (٣٠) .

(٢) سورة التوبة: آية (٣٠ – ٣١) .

فمن هم الموصوفون بالشرك في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ سبحانه عمّا يشركون ﴾؟ إنها موجهة إلى اليهود والنصارىٰ.. وهذه شهادة القرآن بأنهم مشركون.. فكما هو معروف فالأحبار من بني إسرائيل والقسيسون والرهبان من النصارىٰ.. ولاشك أن الموصوفون بالشرك في هذه الآية بالذات هم اليهود والنصارىٰ علىٰ حد سواء ذلك توضيح لمن يقولون إن الله لم يصفهم بالشرك وإنّما وصف كفار قريش بالشرك لعبادتهم الأصنام والأوثان.. فهل بعد ذلك شرك؟..
إنّ من المعلوم عند كل العارفين إن الشرك بالله هو أن يجعل الإنسان لله شريكاً فيما لا ينبغي إلّا له سبحانه وتعالىٰ وحده.. وقد فعلوا ذلك وقالوا إنّ عزيراً ابن الله وأن المسيح ابن الله.. والإبن كما هو معروف وارث لأبيه بعد موته.. فهم بذلك يكونون قد حكموا على الله عز وجل بالموت والفنىٰ لأن كل والد لابد أن يموت وكل مولود لابد أن يموت ولم يبق حيًّا إلّا من لم يلد ولم يولد وهذه الصفة لا تنبغي إلّا لله وحده، لا شريك له فيها.. تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً وقاتلهم الله ...

فهل بعد ذلك شرك ؟

إذاً فما هو معنٰى الشرك إذا لم يكونوا بارتكابهم تلك الأفعال جميعها مشركين؟.. ولماذا يقول البعض إنهم ليسوا بمشركين وإن الله لم يصفهم بالشرك؟.. إن المشركين الوثنيين جعلوا لله شركاء في الدعاء والتوسل من الحجارة والخشب وقالوا إنّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفاً.. لكنهم لم يتجرأوا ويقولوا إنّ الله هو هبل أو اللات أو العزّىٰ، أو أن له ابناً بينهم مثلما تجرأ اليهود والنصارىٰ بقولهم إنّ عزيراً ابن الله والمسيح ابن الله.. ثم قالوا إنّ المسيح ابن مريم هو الله بذاته وصفاته.. فإشراك الوثنيين بالله قد يكون عن جهل فلم يأتهم رسول من قبل مثل مشركي قريش الذين انقطع دابرهم في يوم واحد هو يوم الفتح.. فاستبدلت وثنيتهم الحجرية والخشبية بشخصيات بشرية اتخذها اليهود والنصارىٰ أرباباً من دون الله .

فبعد هذا كله يحق لنا أن نطلق على اليهود والنصارىٰ صفة الوثنيين باتخاذهم آلهة وأرباباً من دون الله. مثل أحبارهم ورهبانهم وقبور أنبيائهم.. بل إنّ مقت الله لهم أشد مقتاً من مقته للوثنيين.. فاليهود والنصارىٰ كما أسلفنا أشركوا بالله علىٰ علم وبعد اتصالهم بوحي السماء بواسطة الرسل ومعرفتهم بالله...

كل ذلك وهم يعلمون الحق والباطل ولٰكنهم بآيات الله يجحدون.. إن الله سبحانه وتعالىٰ يقول عن نفسه جل شأنه: ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ وعيسىٰ عليه السلام بشر من دم ولحم كسائر البشر في تركيبه الخَلْقي ورسول إلىٰ بني إسرائيل ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ وعيسىٰ عليه السلام أدركته الأبصار ثم ادّعوا عليه بالاقتدار فقالوا إنه قتل وهو لم يقتل وقالوا إنه صلب وهو لم يصلب والقرآن الكريم يقول: ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾، فكيف يصدّق من له عقل سليم أن رباً يُقتل أو يُصلب أو يُغلب على أمره بين قومه؟ إذا كان للرب قوم يحتمي بهم؟ أفبعد هٰذا كلّه لم يكونوا مشركين؟.. إذاً كيف لا يكونوا مشركين ونحن المسلمين نعتبر المسلم المؤمن الذي ينطق بالشهادتين ويصلّي ويزكي ويصوم ويحج البيت إذا دعا مع الله غيره نعتبره مشركاً؟.. كأن يدعو مع الله ولياً من أولياء الله الصالحين كما يعتقد، أو يتوسل إليه بعد موته أو ينذر له نذراً أو يعظّم له قبراً أو يحلف به حلفاً من دون الله نعتبره مشركاً كالذين قالوا إنّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفاً.. ولاشك لدينا إنه كذلك.. وقد يكون مرتدًّا والعياذ بالله إذا

أصر على ذلك الاعتقاد ومات عليه.. فهو مشرك حتىٰ يتوب إلى الله بل ومرتدّ لأنه منسوب إلى الإسلام .

ولٰكن فلنقيس الفرق بين هذا وذاك: كيف نعتبر المسلم المؤمن بالله مشركاً بارتكابه باباً واحداً من أبواب الشرك وهو أن يشرك في دعائه إلى الله غيره؟.. ثم لا نعتبر من جعل لله ولداً وحكم عليه بالموت وجعل إلىٰ جانبه أرباباً يُعبَدون لم نعتبره مشركاً؟.. إذاً فما هو معنىٰ الشرك وما الشرك وما صفات المشرك إذا لم يكن ذلك أعظمه؟ فالحق يقال: إنّهم مشركون حقاً.. وإنّما وُصف بالإيمان منهم الذين كانوا مسلمين على دين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام في فترة الانتظار لظهور محمد ﷺ وفي بداية دعوته فلمّا عرفوا إنه الحق وجاء بالحق كفروا به وارتدّوا إلّا من أحبه الله وهداه ورضي له الإسلام ديناً وقليل ما هم من أهل الكتاب وأمّا المسلم فإنه يؤمن بأركان الإيمان كلها.. فمن كان مؤمناً ولم يسلم فلا إيمان له ولا يجوز أن يوصف بالإيمان.. بل كافر ومشرك معاً. فالله سبحانه وتعالىٰ حذّر المؤمن بأن لا يمت إلّا وهو مسلم.. لأنه لا يقبل الإيمان منه دون الإسلام.. ولم يشدد على المسلم بأن لا يمت إلّا وهو مؤمن بكل صفات

الإيمان وشعبه لأنه ربما لا يقدر يعيها كاملة.. فإسلام المرء أولىٰ من إيمانه كما أن النقص من جانب الإنسان في الإسلام شرك والشرك لا يغتفر.. ومن تمام الإسلام سلامته لدى من يدين به بأن يحافظ عليه.. فهو كالجسم السليم الذي يأبى المساس به وكالأمانة التي فرض الله حفظها وأداءها إلىٰ أهلها.. فالدين هو أمانة الله عند الإنسان الذي عاهده الله عليها.. فمن دان بالإسلام فُرض عليه أن يحافظ عليه من كل ما يجرحه.. فإذا ما ارتكب المسلم أي باب من أبواب الشرك فقد جرح إسلامه وخان أمانته التي حملها لله.. فالله سبحانه وتعالىٰ لا يتساهل مع من يجرح دينه.. فمن أجل ذلك كل ذنب مهما كبر فهو عند الله أصغر من الشرك.. فإن شاء عذّب وإن شاء غفر.. ولكن المشرك لا يغتفر له ذنب وإن عمل عملاً صالحاً لا يجازىٰ عليه من الله.. فمن جرح دين الله وسلامته فهو مشرك.. ذلك لأن الدين كلّه لله وحده خالص لا شريك معه فيه ولا يسمح جل شأنه بأن يصرف منه لمخلوق أي جزء ولا صفة وذلك بخلاف الإيمان.. فالإيمان مثلاً ليس بالله وحده مثلما الدين له وحده ولكنه أي الإيمان يكون بالله وبملائكته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبالقدر وبالجنة

والنار إلى أكثر من ستين شعبة.. فمثلاً :

المسلم يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلى آخره.. لكنه لا يجوز له ولا ينبغي أن يقول أسلمت لله ثم للملائكة والرسل.. إلخ .

لأن الدين الإسلام لله وحده ليس فيه أي جزء لا لملك مقرّب ولا لنبي مرسل.. وذلك ما جعل رب العزة والجلال سبحانه وتعالى يغار ويغضب على: من يصرف منه شيئاً لغيره جل جلاله.. ويعتبره الظلم العظيم أو الخيانة العظمى بحق الله الذي لا ينبغي لأحد سواه.. فمن أجل ذلك فإن نقص عند المسلم شعبة من الإيمان أو أكثر لجهل أو لشك في بعض الغيبيات دون إنكار ولا جحود.. فإنّ الله لا يؤاخذه مثلما يؤاخذه في النقص من الدين الخالص له عز وجل.. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[1] .

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء: آية (٤٨) .

(٢) سورة لقمان: آية (١٣) .

فالإسلام لله وحده والإيمان به وبغيره من مخلوقاته من أجل ذلك قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ولم يقل ولا تموتن إلّا وأنتم مؤمنون. وليس معنىٰ ذلك إنه لم يطلب الإيمان من المسلم على أكمل وجه ولٰكن ذلك تحذير من الله من ارتكاب أكبر الكبائر وهو الشرك بالله إذا ما انتهك الإسلام لله.. فالإسلام أول ركن فيه هو الاعتراف بواحدانية الله سبحانه وتعالىٰ وإنه لا إلٰه غيره.. والإيمان أول ركن فيه هو الاعتراف بوجود الله.. فمن نطق بالشهادتين فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ بحبل الله واعتصم بالله مع التزامة بالأربعة الأركان بعد الشهادتين وبما يحتويه كل ركن منها من الفرائض والواجبات والسنن.. ثم بعد ذلك بالإيمان بالله وبأركانه الستة .

ونلاحظ في الآيات الكريمة التي يرد فيها ذكر خليل الله إبراهيم ﷺ إنها تختتم عادة بعد كلمة ـ حنيفاً ـ إمّا بحنيفاً مسلماً وما كان من المشركين أو بـ حنيفاً وما كان من المشركين مثل قوله تعالىٰ :

﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾ .

وقولــه: ﴿ **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين** ﴾ .

وقولــه: ﴿ **قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾ .

وقولــه: ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين** ﴾ .

من ذلك نلاحظ أن الإسلام في الآيات القرآنية دائماً مقترن بالمضاد له وهو الشرك بالله. كما نلاحظ أن الإيمان مقترن بالمضاد له وهو الكفر بالله فيتبين لنا من ذلك إن الشرك ضد الإسلام والكفر ضد الإيمان.. والكفر أنواع أمّا الشرك نوع واحد.. فقد يكفر الإنسان بنعمة من نعم الله أو بحكم من أحكام الله بالتهاون فيه.. فيقال له كفرت بكذا أو عصيت ربك في كذا.. وأمّا الشرك فهو نوع واحد وهو منازعة الله فيما لا ينبغي إلّا له، وليس له غفران من الله كبر أم صغر إلّا أن يشاء الله.. وبما أن الشرك عند الله أعظم من الكفر ولن يغتفر للمشرك ذنب وإن عمل أعمالاً صالحة فلا تنفعة.. فقد أمر الله المؤمنين بأن لا يموتوا إلّا وهم مسلمون تحذيراً لهم وحفاظاً عليهم من الشرك بالله الذي به تُحبط الأعمال

الصالحة فقال تعالىٰ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] .

وقــال تعالىٰ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[2] .

فلم يقل سبحانه وتعالىٰ من يرتدّ منكم عن إيمانه ولكن من يرتد عن دينه.. وهو الخالص له وحده سبحانه وتعالى .

فالمفروض على المؤمن أن يكون دينه قبل كل شيء كاملاً **غير منقوص** سليماً غير مجروح خالصاً ليس فيه مع الله شريك.. فالله سبحانه وتعالىٰ لم يشدد بالأمر على المسلمين بأن لا يموتوا إلّا وهم مؤمنون كما شدد على المؤمنين بأن لا يموتوا إلّا وهم مسلمون.. ولٰكن ليس معنىٰ ذلك أنّ من قال لآ إلٰه إلّا الله محمد رسول الله ثم لم يعمل بها وبما جاء

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢) .

(٢) سورة المائدة: آية (٥٤) .

به الدين يكون مسلماً حقًّا.. كلا.. فهناك من أسلم و لم يؤمن مخادعة لله وللمؤمنين وأولئك هم المنافقون الذين اختصهم الله بقعر جهنم سكناً لهم.. قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(١) .

فلابد أن تكون العقيدة مقترنة بالدين.. والدين مقترناً بالعقيدة وإلَّا فلا دين لمن لا عقيدة له ولا عقيدة لمن لا دين له.. هذا وأرجو الله العلي القدير أن نكون قد عرفنا حق المعرفة بأنها لم تنزل من السماء أديان متعددة إلَّا دين واحد هو الإسلام اسماً ومعنًى .

كما أرجو أننا تأكدنا وعرفنا أيضاً أسباب تغيير وتقسيم دين الله الواحد إلىٰ ديانتين من جانب اليهود والنصارىٰ من بعد موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.. ثم عرفنا ما هو المغزىٰ والهدف للنصارىٰ من وراء تبديل اسم ديانتهم النصرانية إلى اسم المسيحية ومخادعتهم لله وللمسلمين.. كما أرجو كذلك إننا قد عرفنا التمييز بين معنىٰ الدين ومعنى العقيدة.. فيجب علينا

---

(١) سورة النساء: آية (١٤٥) .

كمسلمين لله مؤمنين به أن نقف ونتفكر بإمعان وبصيرة وتدبّر في شأن الديانتين اليهودية والنصرانية.. ثم ندرك بأن لو كانتا سماويتين حقاً بالاسم والمعنى لكان لهما حظ من الثناء في كتاب الله الكريم.. ولو بقدر ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ثم لبين لنا الحق سبحانه وتعالى بأنّهما كانا حقاً في تلك الفترة من الزمن بأمر منه جل شأنه.. ولكنه سبحانه وتعالى مقتهما أشد مقت ببراءة خليله إبراهيم وأبنائه صلوات الله وسلامه عليهم من الانتساب إليهما.. ثم ببراءة السماء منهما .

فلم ينزل الله دليلاً في القرآن الكريم بأنهما كانا حقاً بهذين الاسمين في أي وقت مضى من الدهر السحيق.. هذا وأرجو الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق والسداد ثم أسأله جل شأنه أن يجعلنا مخلصين له الدين حنفاء كما يحب ويرضى.. وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويقرأون القرآن ويتدبّرون آياته إنه سميع مجيب ..

وصلّى الله وسلّم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى إخوانه جميعاً من الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين.. والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته .

ناصر الحسين با نافع

الفهـــرس

طبعت بمطابع دار طيبة ـ الرياض ـ السويدي
شارع عبد الملك بن هشام ـ ت: ٤٢٥٢١٩٥